التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 214 السنة 23 - سبتمبر 2025

البطالة وتسريحات العمالة الوطنية

08

السبيل لإصلاح منظومة التقاعد وتخطي عجزها

09

موقفنا

١٤ أغسطس ١٩٧١
٢٦ أغسطس ١٩٧٥

في الرابع عشر من أغسطس عام 1971، أعلن عن استقلال البحرين مما عرفت بـ "الحماية" البريطانية، كشكل من أشكال الاستعمار والهيمنة الأجنبية، لتصبحَ دولة مستقلة، وعضواً في الهيئات العربية والدولية، جنباً إلى جنب مع الدول الأخرى. قدّم شعبنا تضحيات كبيرة، وخاضت أجيال من البحرينيين نضالاً استمرّ عقوداً، حتى بلغنا اللحظة التي أصبح فيها وطننا دولة مستقلة.

فتح استقلال البحرين أفقاً واعداً لمستقبل أفضل حلم به البحرينيون وضحّوا من أجله، حيث ربطت الحركة الوطنية البحرينية في نضالها بين الاستقلال والسيادة الوطنية من جهة، وتحقيق حياة دستورية، تضمن الحريات الديمقراطية والمشاركة السياسية للشعب في رسم القرار من جهة أخرى، بما في ذلك حرية قيام النقابات ومؤسسات المجتمع المدني المستقلة، وهو ما كنا على وشك تحقيقه، أو بعضه على الأقل، يومذاك، خاصة مع التحركات العمالية في العام 1972، للمطالبة بإطلاق حرية العمل النقابي.

تمّت الدعوة لانتخابات المجلس التأسيسي لمناقشة وإقرار أول دستور في تاريخ البحرين، وبعد ذلك جرت الانتخابات النيابية الأولى في السابع ديسمبر عام 1973، التي حققت فيها القوى الوطنية نجاحاً وازناً، من تجلياته فوز كتلة الشعب اليسارية المدعومة من جبهة التحرير الوطني وضمّت عدداً من كوادرها، بثمانية مقاعد، وهو فوز عكس النفوذ الشعبي للتيار التقدمي في البلاد، وإلى جانب مرشحي "كتلة الشعب" فاز عدد من المرشحين الوطنيين المستقلين، ما أضفى على تركيبة المجلس الوطني يومها ثقلاً في الكفاءة وحسن الأداء، وأعطى زخماً كبيراً للحراك الشعبي تمثّل في تشكيل بعض النقابات وتصاعد المطالبة بالحقوق العمالية.

كان يمكن لهذه البدايات الواعدة أن تسير بالبحرين نحو أفق ديمقراطي رحب، يليق بوعي شعبها وحسّه الوطني، لتؤسس لتجربة متميزة في المشهد السياسي في المنطقة، لكنّ الدولة اختارت نهجاً مغايراً أعاد البلاد إلى دائرة القمع ومصادرة الحريات، فتمّ اجهاض التجربة البرلمانية في السادس والعشرين من أغسطس عام 1975، بحلّ المجلس الوطني وتعليق بعض مواد الدستور، وسبق ذلك اعتقال العديد من قادة ومناضلي جبهة التحرير والجبهة الشعبية وبعض أعضاء كتلة الشعب، فيما عرف في أدبيات الحركة الوطنية "هجمة أغسطس"، وتمَّ تطبيق قانون أمن الدولة الذي اتفق أعضاء المجلس المنتخبون على رفضه، لتدخل البلد في نفقٍ مسدود لنحو ربع قرن.

في التاريخين؛ تاريخ الاستقلال وتاريخ حلّ المجلس الوطني، درس وعبرة.

التقدمي

في بيان لجنته المركزية

التقـــدمـــي يؤكـــد خطـــورة النهـــج الاقتصـــادي النيـــوليبـــرالـــي علـــى مستقبـل البحريـــن

عقدت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي اجتماعها الدوري الثالث يوم الثلاثاء الموافق ٥ أغسطس ٢٠٢٥ برئاسة الأمين العام الرفيق عادل متروك، حيث ناقش الاجتماع التقارير السياسية والتنظيمية المقدمة من المكتب السياسي إلى جانب عدد من البنود المدرجة على جدول الأعمال.

وتوقف الاجتماع عند أبرز القضايا الملحّة التي تمس حاضر ومستقبل المواطنين، مؤكداً الحاجة إلى إيجاد حلول جدية للأزمات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة.

وفي هذا السياق، وجّه المنبر التقدمي انتقاداً شديداً للسياسة الاقتصادية الرسمية، التي اعتبرها قائمة على أجندات فردية وقرارات معزولة عن المصلحة الشعبية. وأشار إلى أن قرار استثمار 17 مليار دولار في الولايات المتحدة – في حال تنفيذه – سيوفّر ثلاثين ألف وظيفة للأمريكيين، في وقت تتفاقم فيه أزمة البطالة في الداخل البحريني إلى مستويات تهدد استقرار الأسر والأمن الاجتماعي.

ولفت المنبر إلى أن مثل هذه التوجهات لا تمثل استثماراً لفائض مالي بقدر ما هي توسع في الاستدانة، سواء من قبل الشركات الكبرى أو الدولة نفسها، الأمر الذي يفاقم الدين العام الذي وصل حتى الآن إلى 22 مليار دينار، مع فوائد سنوية تقترب من مليار دينار. وحذّر البيان من أن استمرار هذا النهج قد يؤدي إلى عجز تام عن السداد، بما يشكّل تهديداً مباشراً للسيادة الوطنية والاستقرار السياسي والاجتماعي.

وأكد المنبر أن الحل يكمن في توجيه رؤوس الأموال إلى استثمارات إنتاجية داخلية تعزز الاقتصاد الحقيقي وتخلق فرص عمل لائقة وتعيد الاعتبار للسياسات الاجتماعية، بما يمكّن البلاد تدريجياً من التحرر من ربقة الدين العام ويضعها على مسار تنموي مستدام.

وشدد البيان على أن الجمع بين الدعوة إلى "التوازن المالي" والتوسع في الاستدانة يعكس تناقضاً واضحاً في السياسات الرسمية، داعياً إلى مراجعة شاملة للنهج الاقتصادي القائم والالتفات إلى احتياجات الأجيال الجديدة من تعليم وفرص عمل وتشجيع للطاقات الشبابية.

وفي الشأن الإقليمي، أبدى المنبر التقدمي قلقه من استمرار التوتر في المنطقة واحتمال اندلاع مواجهة بين الكيان الصهيوني وإيران بمشاركة أمريكية، محذراً من الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على لبنان وسوريا وغزة بدعم أمريكي وصمت عربي ودولي "مخجل ومعيب".

وأشاد البيان بمواقف الشعوب الأوروبية وأمريكا اللاتينية المناصرة للحق الفلسطيني في التحرر وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

الجمعيـــات السيـــاسيـــة تستنكـــر تصـــريحـــات رئيس وزراء الكيـــان الصهيـــونـــي

أعربت الجمعيات السياسية في مملكة البحرين، وفي مقدمتها المنبر التقدمي، التجمع القومي الديمقراطي، المنبر الوطني الإسلامي، الصف الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري، عن استنكارها الشديد للتصريحات العدوانية الأخيرة الصادرة عن رئيس وزراء الكيان الصهيوني بشأن ما يسمى بـ "إسرائيل الكبرى"، معتبرةً أن هذه المزاعم تعكس أوهاماً توسعية استعمارية خطيرة تستهدف أمن واستقرار المنطقة العربية برمتها.

وأكدت الجمعيات أن هذه التصريحات تأتي في وقت يواصل فيه الاحتلال ارتكاب مجازر دموية بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، ويمارس سياسة الحصار والتجويع الممنهج، بما يشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي العربي والسلم الإقليمي والدولي.

ودعت الجمعيات السياسية الدول العربية والإسلامية إلى تبنّي موقف جماعي رادع وحازم تجاه هذه المخططات، مشددة على أن أي صمت أو تهاون إزاءها إنما يفتح الباب أمام المزيد من الانتهاكات.

كما طالبت بوقف كافة أشكال التطبيع مع الكيان الذي لا يعرف إلا منطق القوة والعدوان.

كما وجّهت الجمعيات نداءً إلى مختلف القوى الحيّة والحرّة في العالم بضرورة تحمّل مسؤولياتها الأخلاقية والإنسانية في مواجهة السياسات العنصرية للاحتلال، ودعم نضال الشعب الفلسطيني وحقه الثابت في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس على كامل ترابه الوطني.

في منتدى التقدمي الأسبوعي

الماضي: السنوات الخمس المقبلة «صعبة جدًا» على صناديق التقاعد

جانب من الحضور

حذّر الدكتور حسن الماضي، عضو مجلس إدارة هيئة التأمين الاجتماعي سابقًا ممثلاً عن القطاع العمالي، من مستقبل «مقلق للغاية» لصناديق التقاعد في البحرين خلال السنوات الخمس المقبلة، مؤكدًا أن الأوضاع ستكون «صعبة جدًا على المتقاعدين» خصوصًا في ما يتصل بالاشتراكات وزيادة معاشات التقاعد، «إلا في حالة حدوث تدخل من نوع آخر».

جاء ذلك في الندوة التي نظمها المنبر التقدمي عبر لجنة المتقاعدين، وجمعت الماضي مع المهندس علي سبت نائب رئيس «جمعية خبرة للمتقاعدين»، وأدارها الرفيق فلاح السيد هاشم، بعنوان «الصناديق التقاعدية.. الهواجس وبواعث القلق والتساؤلات المشروعة»

أشار الماضي إلى أن وقف الزيادة السنوية في المعاشات التقاعدية مثّل ضربة موجعة لشريحة واسعة من المتقاعدين، إذ كانت هذه الزيادة برغم ضآلتها تعني لهم الكثير. كما لفت إلى أن الأصوات التي يطلقها المتقاعدون عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل تحمل «رسائل أنين ومعاناة تبحث عن آذان صاغية»، وهو ما يبرز حجم الأزمة وضرورة معالجتها بخطط مدروسة فعلًا.

وأوضح الماضي أن الهواجس المثارة تتصل بحقوق المتقاعدين، والعجز الاكتواري، وأثر التقاعد المبكر، وكفاءة إدارة أموال الهيئة ومشاريعها الاستثمارية، إضافة إلى تساؤلات حول آليات التعيين والرواتب والمكافآت في الصناديق.

وختم الماضي بالتأكيد على أن الحل يكمن في تدخل نوعي يعيد الثقة والطمأنينة للمتقاعدين، محذرًا من أن غياب هذا التدخل سيجعل المرحلة المقبلة أشد قسوة على أوضاع المتقاعدين ومستقبل الصناديق التقاعدية.

فضفضة

الدين العام معضلة تتفاقم

عيسى الدرازي

لم تعد مشكلة الدين العام في البحرين مسألة اقتصادية بحتة، بل تحوّلت إلى معضلة وطنية تستوجب نقاشًا جادًا وقرارات مصيرية. فبحسب أحدث تقارير وكالة التصنيف الائتماني "ستاندرد آند بورز"، أبقت الوكالة على تصنيف البحرين عند "B–"، وهو تصنيف منخفض يعكس هشاشة الوضع المالي، ويضع المملكة في خانة الدول ذات المخاطر المرتفعة، إلى جانب بعض الدول الإفريقية المثقلة بالديون.

استمرار الاعتماد على الاقتراض لتمويل مشاريع لا تمثل سوى مكتسبات معيشية وقتية يشكل خطرًا حقيقيًا على الاستقرار المالي للدولة. فبدلًا من انجاز بنية تنموية مستدامة، يتم ترحيل الأعباء إلى الأجيال القادمة، وتآكل قدرة الدولة على مواجهة الأزمات أو تمويل التحولات الهيكلية الضرورية.

إن وصول الدين العام إلى مستويات مخيفة يعبّر عن خلل في هيكل الإنفاق وغياب رؤية اقتصادية رشيدة. ومع تراجع قدرة الدولة على تمويل خدماتها دون اقتراض، بات من الملح اعتماد مقاربات واقعية، تتجاوز الحلول المؤقتة نحو سياسات إصلاحية شاملة.

في هذا السياق، فإنّ أحد المفاتيح الأساسية لمعالجة الدين العام يكمن في الاستثمار بالطاقات الوطنية. فتمكين القوى العاملة البحرينية وإدماجها بفعالية في سوق العمل لا يمثل فقط استجابة لمطلب اجتماعي، بل هو خيار اقتصادي حيوي. إذ أن تقليص معدّلات البطالة يحدّ من حجم المساعدات الاجتماعية، ويعيد توجيه جزء من الإنفاق الحكومي نحو التنمية الإنتاجية بدل الاستهلاكية، ما ينعكس إيجابًا على عجز الموازنة ويقلل الحاجة للاقتراض.

كما أن أي إصلاح مالي مستدام يتطلب بيئة شفافة وواضحة في إدارة الموارد العامة. فالثقة الشعبية في السياسات الاقتصادية لا تُبنى إلا على أساس وضوح الأرقام، وجرأة المكاشفة، وتحديد الأولويات بواقعية. إن الطريق إلى التعافي المالي لا يمرّ فقط عبر تقارير التصنيف الائتماني، بل عبر إرادة وطنية تضع المواطن البحريني في قلب المعادلة الاقتصادية، شريكًا لا عبئًا، ومصدر قوة لا تكلفة.

جمعيات سياسية: قرار احتلال غزة جريمة كبرى وصمت العرب تواطؤ مشين

أعربت مجموعة من الجمعيات السياسية عن إدانتها واستنكارها الشديدين للقرار الذي اتخذه مجلس الحرب الصهيوني باجتياح واحتلال قطاع غزة، واصفةً إياه بالقرار "المجنون" الذي يمثل تصعيداً خطيراً لجريمة مستمرة من التدمير الشامل والقتل المنظم والتجويع الممنهج.

وأكدت جمعيات: المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع القومي الديمقراطي، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، والوسط العربي الإسلامي، أن هذا القرار ما كان ليصدر لولا الدعم السياسي والعسكري من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، الأمر الذي يجعل هذه القوى الدولية شريكة في المسؤولية عن الدماء والدمار الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني.

وفي الوقت نفسه، عبّرت الجمعيات عن صدمتها البالغة من الصمت الرسمي العربي والإسلامي، معتبرة أن هذا الموقف المطبق، إلى جانب التواطؤ الأوروبي والدولي، ليس حياداً وإنما غطاء لجرائم الاحتلال التي تُرتكب في وضح النهار.

وشدد البيان على أن المرحلة لم تعد تحتمل المزيد من بيانات الشجب والإدانة، وأن المطلوب اليوم من الأنظمة العربية والإسلامية هو إلغاء فوري للتطبيع، وطرد سفراء الكيان الصهيوني، والعمل على فرض عقوبات دولية شاملة وملزمة على الاحتلال، ووقف آلة الموت ومنع تنفيذ جريمة الاجتياح الجديدة، ومحاسبة جميع المتورطين في جرائم الحرب.

وحذرت الجمعيات من أن تنفيذ هذا القرار سيشعل انفجاراً كارثياً يهدد أمن واستقرار المنطقة بأسرها، ويقودها إلى أزمات ستجر الويلات على الجميع. كما جددت رفضها المطلق لأي مخطط يستهدف تهجير أهالي غزة من أرضهم وديارهم، معتبرة أن ما يجري منذ ما يقارب العامين من دمار وحصار وتجويع ليس سوى حلقة في مخطط تطهير عرقي مكشوف يهدف إلى اقتلاع شعب غزة من أرضه.

المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع تدين تسليم ممثل الكيان لأوراق اعتماده

أدانت 19 مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المنضوية تحت مظلة المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني تسليم الكيان الصهيوني لأوراق اعتماد ممثله في بلادنا البحرين، معتبرة استمرار العلاقات مع الكيان المجرم الغاصب وعدم قطعها رغم المطالب الشعبية اعلاناً رسمياً لاستمرار مشروع التطبيع المرفوض شعبياً والمخالف لقيمنا الإنسانية والدينية والوطنية.

وأكدت الجمعيات في بيان بهذا الخصوص على أن موقف شعب البحرين ثابت وموحد في رفض التطبيع وفي دعم فلسطين التي يواجه شعبها حرب إبادة جماعية لا مثيل لها، وجددت مطالبتها بقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني المجرم والغاصب بشكل فوري.

القومي والتقدمي والوحدوي في ذكرى الاستقلال

دعوة للحوار الوطني وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني

في ذكرى الاستقلال الوطني الرابع والخمسين لمملكة البحرين، والذي يصادف الرابع عشر من أغسطس، أصدرت التجمعات السياسية: المنبر التقدمي، التجمع القومي، والتجمع الوحدوي بياناً مشتركاً جدّدت فيه دعوتها إلى الحوار الوطني الشامل، والعمل على استعادة أجواء التلاحم بين الشعب والقيادة، بما يعيد المسار الإصلاحي إلى سكته الصحيحة.

وأكد البيان أن ذكرى الاستقلال تمثل محطة وطنية مضيئة في تاريخ البحرين، حيث تلاحم الشعب بكل فئاته وقواه دفاعاً عن عروبة البلاد واستقلالها، وواصل مسيرة التغيير من خلال التحولات الدستورية والسياسية التي توّجت لاحقاً بالتصويت على ميثاق العمل الوطني.

وأوضح أن الدرس الأكبر المستفاد من هذه المحطة التاريخية هو أن الاستجابة للمطالب الشعبية تشكّل الركيزة الأساسية للوحدة الوطنية والانطلاق في مسار الإصلاح والديمقراطية.

وفي هذا السياق، شدد البيان على الحاجة الملحّة اليوم إلى إطلاق مبادرة وطنية جادّة، تقوم على الإفراج عن المعتقلين السياسيين والحقوقيين، وإعادة الجنسيات المسقطة، ووقف التضييق على العمل السياسي والمدني، بما يفتح الطريق أمام حوار وطني واسع يستند إلى إرادة سياسية صادقة، ويقود نحو إصلاح دستوري وسياسي حقيقي.

كما تطرق البيان إلى الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البحرين، محذراً من المساس بحقوق المتقاعدين أو تحميلهم أعباء عجز التأمين الاجتماعي، ومؤكداً أن الحل يكمن في تبني سياسات اقتصادية عادلة تعالج البطالة، وتعمل على بحرنة الوظائف، وتحد من الاختلال السكاني وتضخم العمالة الأجنبية، إلى جانب مكافحة الفساد والتمييز، وحماية معيشة المواطنين من سياسات «غير منضبطة» لا تراعي العدالة الاجتماعية.

التقدمي في يوم الشباب الدولي

بطالة مستفحلة وغياب السياسات المنهجية لإشراك الطاقات الوطنية

في مناسبة يوم الشباب الدولي الذي يحييه العالم في 12 آب تحت شعار «إشراك الشباب في توطين أهداف التنمية المستدامة»، وقف المنبر التقدمي امام الواقع «المأساوي» لفئة الشباب في البحرين، حيث تتفاقم البطالة وتتراجع السياسات الرسمية عن مواكبة تطلعات الجيل الجديد.

التقدمي، وفي بيان له، استند إلى الأرقام الرسمية التي تكشف أنّ 62٪ من المواطنين هم من فئة الشباب، أي ما يزيد على 442 ألف نسمة، بينهم نحو 15 ألف عاطل عن العمل، معظمهم من أصحاب الشهادات الجامعية والتخصصات النوعية كالطب والهندسة والقانون.

نسبة البطالة في هذه الفئة وصلت إلى 29.4٪، وهي نسبة يرى فيها الحزب مؤشراً صارخاً على «فشل السياسة التنموية واستنزاف أهم مورد وطني: العنصر البشري».

وانتقد البيان خلو الميزانية العامة 2025/2026 من أي دعم مباشر للشباب أو لمراكز البحوث والتطوير، في حين انخفضت مخصصات قطاع الشباب والإعلام بمليوني دينار في 2026 مقارنة بـ2025، معتبراً ذلك «دليلاً إضافياً على تغييب هذه الفئة عن أولويات الدولة».

وختم التقدمي بيانه بالتشديد على أنّ الشباب ليسوا ملفاً جانبياً بل عنوان المعركة الحقيقية من أجل التنمية، وأنّ تجاهل طاقاتهم يعني المضي نحو مزيد من البطالة، الفقر، والاغتراب، فيما إشراكهم في الاقتصاد والقرار الوطني هو السبيل الوحيد لضمان مستقبل البحرين.

العمالة في الخليج: الذكور يشكلون 80% وتراجع العمالة المواطنة أمام نمو الوافدة

كشف المركز الإحصائي الخليجي في تقريره السنوي لعام 2024 أن الذكور يشكلون نحو 80٪ من القوى العاملة في دول مجلس التعاون، سواء من المواطنين أو الأجانب، ما يعكس استمرار الطابع الذكوري لسوق العمل الخليجي.

وبحسب التقرير، بلغ عدد العاملين الذكور نحو 19.6 مليوناً من أصل 24.6 مليون عامل، بينهم 16.4 مليون وافد ذكر، أي ما يعادل أربعة ذكور عاملين مقابل كل أنثى عاملة. وسجّلت قطر أعلى فجوة في النوع (خمسة ذكور مقابل عاملة واحدة)، فيما جاءت الكويت الأقل (عاملان مقابل عاملة واحدة). أما في العمالة الوافدة تحديداً، فتصدرت السعودية الفجوة النوعية بواقع سبعة ذكور مقابل كل عاملة وافدة.

وأشار التقرير إلى أن هذه التركيبة ساهمت في رفع الفجوة بين الجنسين في سوق العمل الخليجي إلى 45٪، وهي نسبة تتجاوز المعدل العالمي البالغ 25٪.

بلغ إجمالي عدد العاملين في دول الخليج عام 2024 نحو 24.6 مليون عامل، استحوذت السعودية وحدها على ثلثيهم تقريباً (68.5٪)، تليها الكويت (11.7٪)، ثم عمان (10.6٪) وقطر (8.9٪).

وسجّلت العمالة المواطنة تراجعاً ملحوظاً، إذ لم تتجاوز 5.4 ملايين عامل أي ما يعادل 21.7٪ من إجمالي القوى العاملة، مقابل 78.3٪ للعمالة الوافدة (19.3 مليون عامل). وبيّن التقرير أن العمالة المواطنة تراجعت بنسبة 6٪ مقارنة بـ2023، في حين سجلت العمالة الوافدة نمواً بـ1.4٪.

وسجّلت عُمان أعلى نسبة لاندماج المواطنين في سوق العمل (32٪)، تلتها السعودية (23٪). كما أشار التقرير إلى تحسن نسبي في مشاركة المرأة المواطنة، إذ ارتفعت نسبتها من 36.4٪ عام 2019 إلى 40.2٪ في 2024، بمعدل يقارب عاملين مواطنين مقابل عاملة واحدة.

وكالات – المركز الاحصائي الخليجي

نقابة عمال أسري تحتفل بيوم الشباب العالمي: تمكين الشباب أساس التنمية المستدامة

نظمت نقابة عمال أسري الملتقى الشبابي تحت شعار «تمكين الشباب العامل بين الواقع والطموح»، وذلك بمناسبة يوم الشباب العالمي الذي يصادف 12 أغسطس من كل عام.

وفي كلمته الافتتاحية، أكد رئيس النقابة أهمية الاهتمام بفئة الشباب باعتبارها الشريحة الأكبر في المجتمع، والمسؤولة عن قيادة مسيرة التقدم والازدهار. وشدد على أن أهداف التنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها من دون تمكين الشباب وتوفير العمل اللائق، وهو ما نص عليه الهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة، بما يسهم في تقليص الفجوة بين الشعارات والواقع.

من جانبه، أشار محمد خيرالله محمد رئيس لجنة الشباب، إلى أن قصص نجاح الشباب كثيرة، مؤكداً أن الإرادة قادرة على تحويل التحديات إلى فرص للتطور الوظيفي، مستشهداً بتجربته الشخصية حيث تدرج في أكثر من وظيفة حتى وصل إلى منصبه الحالي كمشرف في قسم الجودة.

كما استعرضت ابتسام محمد خليفة تجربتها، إذ بدأت متدربة في شركة أسري، لكنها تمكنت بجدها واجتهادها من الوصول إلى منصب مشرفة في قسم الإمداد.

وتضمن الملتقى جلسة حوارية مفتوحة أتيح خلالها للشباب طرح أسئلتهم ومداخلاتهم. واختتم البرنامج بفعالية رمزية تمثلت في لوحة فنية بعنوان «اترك بصمة للتميز»، حملت بصمات المشاركين تأكيداً على أهمية أن يترك كل فرد بصمته المميزة في عمله وحياته المهنية.

نقابة عمال أسري تشارك في أسبوع الصحة والسلامة

شاركت نقابة عمال أسري في فعاليات أسبوع الصحة والسلامة الذي نظمته الشركة، بمشاركة واسعة من الإداريين وكبار الشخصيات وممثلين عن وزارة العمل والدفاع المدني وشركة الحديد والصلب، تأكيداً على أهمية تعزيز ثقافة السلامة في بيئة العمل.

وفي حفل الافتتاح، ألقى الرئيس التنفيذي الدكتور أحمد العبري كلمة شدد فيها على ضرورة ترسيخ مفهوم السلامة كركيزة أساسية في بيئة العمل. كما أكد رئيس النقابة عبدالله المسجن في كلمة تحفيزية على أهمية مواكبة التقنيات الحديثة لتعزيز معايير الصحة والسلامة.

التوطين في الخليج.. بين الطموح والتحديات

منذ أكثر من عقد، تسعى دول الخليج لتقليص اعتمادها على العمالة الوافدة عبر برامج مثل «السعودة» و«التعمين» و«نافس» و«تمكين»، بهدف مواجهة البطالة وتعزيز استدامة اقتصاداتها. ورغم ارتفاع معدلات توظيف المواطنين، إلا أن الوافدين لا يزالون يشكلون أكثر من 80٪ من القوى العاملة، ما يعكس محدودية التحول الهيكلي.

يرى الخبير العُماني د. أحمد كشوب أن النتائج جاءت متفاوتة؛ ففي السعودية ساهم برنامج نطاقات في رفع نسب التوظيف، لكن دون تحسن ملحوظ في الإنتاجية، خاصة بالمنشآت الصغيرة والمتوسطة، حيث كان التوظيف «استجابة تنظيمية أكثر منه خياراً نوعياً». أما الإمارات فاعتمدت نهجاً مرناً عبر نافس الذي ربط التوطين بالدعم والتدريب، ما عزز الجودة في قطاعات تقنية وخدمية. في المقابل، واجهت عمان صعوبة في مواءمة الكوادر الوطنية مع الوظائف الفنية، فيما ركزت البحرين على التدريب، بينما فضّلت قطر والكويت نهجاً تدريجياً جعل القطاع العام الخيار الأول للمواطنين.

ويؤكد الاقتصادي الكويتي صلاح الجيماز أن للتوطين وجهين: إيجابيات تشمل تطوير رأس المال البشري وتعزيز الدخل القومي، وسلبيات ترتبط بارتفاع تكاليف الإنتاج ونقص الخبرة، إضافة إلى ظاهرة «التوطين الشكلي» التي تضر بالإنتاجية.

التحدي الأكبر يبقى تكلفة التشغيل؛ إذ رفعت نسب التوطين في السعودية وعُمان الأعباء على الشركات الصغيرة، بينما ساهم الدعم الحكومي في الإمارات بتخفيف الأثر. ومع ذلك، تبقى الحاجة لإعادة هيكلة بيئة العمل وسلاسل القيمة.

ويجمع الخبراء على أن نجاح التوطين مرهون بربط الحوافز بـــالأداء، وتكامل السياسات مع التعليم والتدريب، وتحويل المواطن إلى قيمة مضافة حقيقية لا مجرد رقم في جداول التوظيف. فقط حينها يمكن القول إن التوطين يحقق أهدافه التنموية، لا الرمزية.

«الحرة» – أغسطس 2025

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

لقاء بين نقابة الطيارين وإدارة طيران الخليج.. ملفات الترقيات والتوظيف على الطاولة

عقدت نقابة طيارين طيران الخليج اجتماعاً مع الإدارة التنفيذية للشركة، خُصص لبحث الرؤية المستقبلية للعمليات الجوية وخطط تطوير الكوادر من الطيارين.

الاجتماع، الذي جمع ممثلي النقابة برئاسة القبطان صقر بدر الحمادي والأمين المالي القبطان عبدالرزاق حسن البلوشي، مع الإدارة التنفيذية ممثلة بالرئيس التنفيذي لقطاع العمليات القبطان قاسم إسماعيل، ومدير العمليات الجوية القبطان عادل الخان، ومدير أول الأسطول الجوي القبطان ظافر العباسي، تناول قضايا الترقيات، خطط التوسع في أعداد الطيارين، وبرامج توظيف وتدريب الطيارين المساعدين المتدربين.

البطالة وتسريحات العمالة الوطنية .. مؤشرات تراجع مخيفة

قرار وزير العمل بالوكالة يوسف بن عبد الله خلف بتثبيت ٤٧ موظفاً وموظفة من العاملين (المؤقتين) في وزارة العمل خطوة في الاتجاه الصحيح، فمعاناة هؤلاء الموظفين وأسرهم امتدّت لأكثر من ستة عشر عاما.
مجموعة من هؤلاء العاملين كانوا في فترات محددة على تواصل دائم معنا، من اجل الحصول على حق تثبيتهم، وقد حاولنا ذلك مراراً، فهذا أبسط حق يقرّه حتى قانون العمل البحريني وكل ما يتصل به من مسوغات إنسانية وقانونية، إلا أننا كنا دائما نصطدم بالردود التقليدية المعتادة، مثل أنّه لا توجد ميزانيات، وأن هيكل الوظائف في الوزارة لا يسمح بذلك.. إلخ، ليأتي وزير العمل المكلف ويحلّها بجرة قلم وقرار وطني مسؤول!!

عبدالنبي سلمان

الأمر يحتاج إلى وقفات عملية وجادة من قبل المعنيين وفي مقدمتهم الحكومة والدولة

وبالمثل، تابعنا ونتابع ملفات تثبيت العديد من عمالتنا الوطنية حتى اللحظة في شركات صغرى وكبرى أو فصلهم منها، دون ان نحصل على اجابات شافية او حتى مطمئنة، فقط يكفي ان تستبدل ادارة تنفيذية بأخرى أو مجلس إدارة بآخر، لتجد أن أسرع وأسهل قراراتهم (المبتكرة) التي لا تحتاج إلى عناء او تفكير هو البدء في التخلص من العمالة الوطنية!، ومن الملاحظ أنه يتم البدء بمن انهوا سنوات خدمة طويلة او نسبية في تلك الشركات، كما حدث مؤخراً في شركة (اسري)، لتقابل شركات أخرى كبيرة هذا التوجه بدراسة المزيد من حزم «بكجات» الفصل دون رحمة ودون دراسة.

يجري ذلك في الوقت الذي تردنا تقارير موثقة عن أن بعض هذه الشركات مستمرة في توظيف عمالة وافدة وبالمئات، برواتب مجزية لتحلّ محل العمالة البحرينية المسرحة، فيما شركات كبرى تعمم على موظفيها «بكجات» أخرى أشد قسوة وبلا رحمة بنية تخفيض مئات الوظائف لديها لتحيلهم على التقاعد المبكر، في وقت تعلن فيه تلك الشركة عن مئات الوظائف الجديدة عبر وسائل الإعلام! دون ان نسمع عن نيتها لخفض وظائف العمالة الوافدة!

هذه الإجراءات والتوجهات غير المسؤولة والتي لا تعطي اهتماما بأهمية وأولوية العمالة الوطنية، التي يعج بها سوق العمل البحريني كثيرا ما تستند على مواد محددة في قانون العمل البحريني في القطاع الأهلي، خاصة المادة (110) والتي تنص على: «يجوز لصاحب العمل إنهاء عقد العمل بسبب إغلاق المنشأة كلياً أو جزئياً أو تقليص حجم نشاطها أو استبدال نظام إنتاج بآخر بما يمسّ حجم العمالة، على ألا يتم إنهاء العقد إلا بعد إخطار الوزارة بسبب الإنهاء قبل ثلاثين يوماً من تاريخ إخطار العامل بالإنهاء، وفي غير حالة الإغلاق الكلي للمنشأة يتم مراعاة عدم إنهاء عقد العامل البحريني الذي يتمتع بنفس كفاءة وخبرة العامل الأجنبي الذي يعمل معه في المنشأة».

استنادا على نصّ هذه المادة، نلاحظ حجم التعسف الذي تمّ ويتمّ بحق العامل البحريني، وعدم الالتزام من قبل العديد من الشركات والمؤسسات، بل ومحاولتها الالتفاف كثيرا على النصوص وتحويرها، بما يخدم توجهات بعض الإدارات التنفيذية أو مجالس الإدارة، التي نستشعر أحياناً كثيرة أنها ليست في وارد الاهتمام بأوضاع العمالة الوطنية التفكير أو مجرد التفكير فيه، وفي الأوضاع المعيشية والأمن الاجتماعي، أو في مسؤولياتها المجتمعية كشركات قائمة ومستفيدة ومربحة لمساهميها تستفيد من وجودها على هذه الأرض، بل هي أصلاً لا تفكر حتى ضمن رؤية البحرين 2030 والتي تنص على اولوية العامل البحريني، وتركز على الاستدامة والعدالة والتنافسية، علماً بأن مجلس النواب، وفي اكثر من فصل تشريعي، بما في ذلك الفصل التشريعي الحالي، حاول ولازال يحاول تعديل هذا النص إلا أنه ما يصطدم، في كل مرة، بمعوقات وحجج ورفض لا يمت للمنطق بصلة ومن بين تلك الحجج أن سوقنا مفتوح وان القطاع التجاري غير راض، وأن ذلك سيؤثر على جاذبية البحرين أمام الاستثمارات الخارجية.. إلخ.

في الخلاصة أقول، إننا أصبحنا اليوم، وبكل أسف، نعيش واقعاً معيشياً صعباً، وواقعاً اقتصادياً أصعب، دع عنك كل ما يساق من أرقام وعناوين مبهرة تُسوّق وكأنها حقائق، فالأمور أضحت تتم متابعتها بالعين المجردة، وهي تخبرنا أن هناك تخبطاً وفوضى عارمة وفساداً مستشرياً ومحسوبيات، وبرامج خصخصة ظالمة، مُهمشة لكل ما هو بحريني، تآكلت معها فرص أبناء الوطن في الحصول على وظائف، وقرارات غير مدروسة وتراجعاً اقتصادياً يُصوّر وكأنه ازدهار، وبطالة مرهقة، ومشاكل مجتمعية متفاقمة، وشبابنا بدأ يفقد تدريجيا الأمل في المستقبل، وبدأت جموع ليست بالقليلة من الكفاءات تُفكر في الهجرة، فيما تتفشى في صفوف الشباب أمراض اجتماعية مثل بيع وتعاطي المخدرات والأمراض النفسية وحالات الاكتئاب المتزايدة، علاوة على تزايد حالات الطلاق والتفكك الأسري وغيرها الكثير، أضف إلى كل ذلك ما تحدثه حالات الفصل التعسفي تلك من ضغوط متزايدة على الصناديق التقاعدية التي توشك أصلا على الإفلاس وتحتاج إلى مشاريع إنعاش عاجلة!!

بات الأمر يحتاج إلى وقفات جادة وصادقة، تنطلق من إرادة وقرارات عليا تتجاوز كل ما يدور من ترقيعات وتراجعات وفوضى وإفلاسات وتسريحات وتلاعب والتفاف على القوانين، حتى نستطيع ان نكون اوفياء حقا تجاه قضايا شبابنا من الجيل الحالي والأجيال القادمة، وليست هذه مسألة عسيرة أبداً.

فقط تحتاج أن نتقن الاصغاء أولاً وأخيراً لمشاكل الناس ومعاناتهم، وإلى وقفات عملية وجادة من قبل المعنيين، وفي مقدمتهم الحكومة والدولة.

السبيل لإصلاح منظومة التقاعد وتخطي عجزها

في العدد السابق من نشرة التقدمي، وتحت عنوان "تحديات إصلاح التقاعد ونهج إدارة سوق العمل في البحرين"، تطرقنا إلى تأثير السياسات النيوليبرالية على إدارة سوق العمل، وكيف انعكست بشكل سلبي على استدامة وكفاءة إيرادات صناديق التقاعد. فالعلاقة بين الاشتراكات التأمينية وآلية إدارة سوق العمل وثيقة، واستمرار الدولة في النهج الحالي أدى إلى تراجع أعداد الداخلين الجدد لسوق العمل وتزايد أعداد العاطلين من المواطنين. وهو ما كشف بوضوح عجز الدولة والقطاع الخاص عن توفير فرص عمل لائقة، الأمر الذي يفرض مراجعة قوانين العمل وآليات إدارة السوق المفتوح على مصراعيه بلا قيود تحمي العمالة الوطنية.

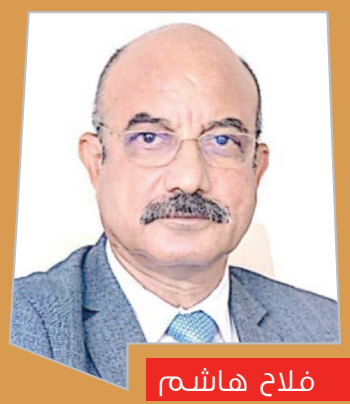

فلاح هاشم

فالبيئة التنافسية غير العادلة تميل لصالح العمالة الوافدة الرخيصة، بينما تُستحوذ على الوظائف ذات الأجور المرتفعة بسبب ضعف التشريعات وغياب المتابعة الجادة من الأجهزة التنفيذية.

وزاد الطين بلة توجه الدولة لتصفية القطاع العام عبر الخصخصة في قطاعات خدمية أساسية: الكهرباء والماء، البلديات، المواصلات، إلى جانب بعض أقسام وزارتي الصحة والتعليم، والعديد من الخدمات المساندة. كما جاء برنامج التقاعد الاختياري ليضاعف العبء على صناديق التأمينات الاجتماعية.

وبذلك ظلّت صناديق التقاعد تواجه عجزًا متناميًا؛ بدأ اكتواريًا ثم تحول إلى عجز حقيقي نتيجة السياسات التشغيلية الضعيفة. هذه السياسات قامت على فرضية أن الداخلين الجدد إلى سوق العمل سيكونون أضعاف الخارجين، وبأجور أعلى، وهو ما لم يتحقق على أرض الواقع. لذلك، فإن إصلاح منظومة التقاعد في البحرين لا يمكن أن يقوم إلا على مواجهة جادة وصريحة للأسباب الحقيقية التي أدت إلى ضعف التمويل، إلى جانب وقف الهدر، ومعالجة سوء إدارة الاستثمارات بخطوات عاجلة وحاسمة، أهمها:

معالجة جذرية لملف توظيف المواطنين، وذلك عبر تعديل التشريعات بما يكفل أولوية فرص العمل لهم وبأجور عادلة تؤمن حياة كريمة، مع متابعة دقيقة للتنفيذ.

تحمل الحكومة التبعات الاكتوارية الناتجة عن إلغاء صندوق تقاعد النواب، وكذلك التكلفة الاكتوارية لموظفي الدولة الذين أُحيلوا للتقاعد المبكر عبر برامج عدة، منها برنامج التقاعد الاختياري.

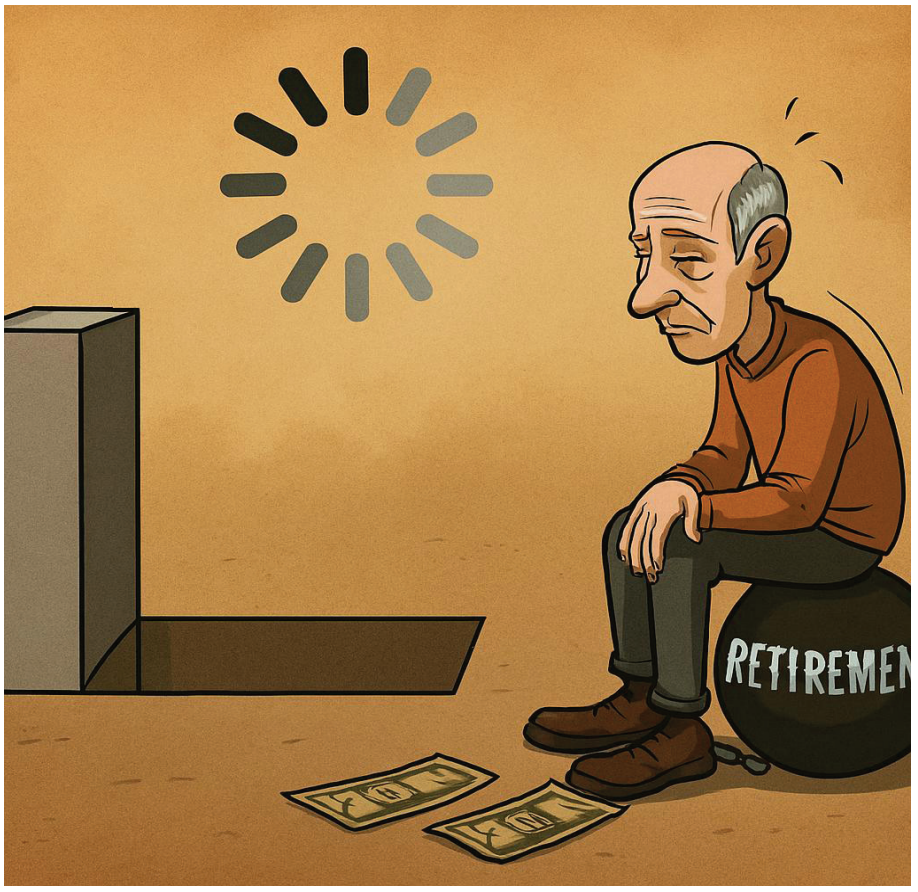

التعامل مع تنامي العمالة غير المنظمة، والتي تشكل أكثر من 30٪ من القوى العاملة البحرينية وتحرم التأمينات من اشتراكاتهم. وبعد رفع نسب الاشتراكات أصبح من شبه المستحيل أن يلقى التأمين الاختياري قبولًا، فكيف يمكن للعامل أن يدفع 27٪ من دخله الشهري للاشتراك؟ لذا تبرز الحاجة إلى تشريع جديد يضمن إدماج هذه الفئة بتكلفة معقولة، على أن تتحمل الدولة نصيب صاحب العمل في الاشتراكات.

إدارة استثمارات صناديق التأمينات بشفافية ومهنية، بعيدًا عن أي توجيه سياسي أو اعتبارات لا تصب في صالح الصناديق.

إن معالجة أزمة التقاعد في البحرين لم تعد تحتمل المزيد من الترقيع أو التأجيل. الإصلاح الحقيقي يبدأ بمواجهة مكمن الخلل: سياسات العمل، غياب العدالة في السوق، تراجع دور الدولة، وسوء إدارة الموارد. وبدون ذلك، ستبقى صناديق التقاعد في دائرة العجز المتكرر، على حساب مستقبل المتقاعدين وحقوق المواطنين.

تواجه صناديق التقاعد عجزًا متناميًا؛ بدأ اكتواريًا ثم تحول إلى عجز حقيقي نتيجة السياسات التشغيلية الضعيفة

زاد الطين بلة الاتجاه لتصفية القطاع العام عبر الخصخصة في قطاعات أساسية: الكهرباء والماء، البلديات، المواصلات وبعض أقسام الصحة والتعليم

معالجة أزمة التقاعد لم تعد تحتمل المزيد من الترقيع أو التأجيل.. الإصلاح الحقيقي يبدأ بمواجهة مكمن الخلل

بنـاء الوطـن بعيـداً عـن الإثنيـات والطـأفنـــة

في غمرة هذا التأزم العميق، حيث التأزم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي أفرز عوائق ومحناً تزداد يوماً بعد يوم بسبب عدم إيجاد حلول للخروج من عنق الزجاجة، ورغم طبيعة هذه الأزمات بالنسبة لنظم وقوانين لا تخدم إلا أصحاب واضعي هذه النظم والقوانين. والسبب ليس هذه الأزمات فحسب، بل أن هناك مسببات أخرى تعرقل حلولاً لهذه الأزمات، حيث بسبب عدم وضع حد لاستمرارية تفاقمها هناك الأسوأ، فإننا كمجتمع يعاني من أزمات تضررنا منها، وكوننا المتضرر الأول الذي يدفع ثمنا باهضاً في ظروف قاسية في السوق والعمل والصحة والسكن والتعليم والتنمية وغيرها.

قاسم الحلال

ولأننا الأكثر تضرراً نحن الأكثر تحمساً لإيجاد حلول لهذه المعاناة المؤلمة طوال هذه السنين، حيث سبق وأن وضعنا تصوراتنا وبرامجنا للحيلولة للخروج من هذا النفق القاسي، لكن بسبب مصالح الفئات الأنانية التي تسعى لمصالحها البرجوازية والعقائدية بحكم الكسب دون الرجوع للمصلحة العامة التي تخدم المواطن المنهك المضطهد والذي يدفع ثمناً غالياً لهذه المغامرات.

علينا أن لانشتت أفكارنا في اتخاذ قرار لإيجاد حل لهذه المعضلة للوقوف على مكمن أساس الخطأ، علينا أن نطرق موضوعاً رغم حساسيته لابد لنا من طرحه، حيث يشكل عصباً رئيسياً في الوقوف على مدى تفاقم العراقيل التي يعاني منها مجتمعنا بسبب عدم حلها والتي تسببت في استفحال هذه الأزمات، ومن هنا يتحتم علينا أن نضع في الحسبان دراسة المد المتهور والمتطرف الايديولوجي الذي يصر على تزعم قيادة المجتمع منفرداً بحجة الأولوية للايديولوجية أو المذهبية وفي هذه الحالة نبقى (مكانك راوح)، نبقى في دوامة الإنقسامات المذهبية، وكل من يعتقد أنه صاحب الرؤية الصحيحة، ما يجرنا نحو المربع ذاته ويجرنا أيضاً نحو المشروع في إدارة نظم تعج بالتناقضات والصراعات.

في القرون الوسطى وظّف النظام الإقطاعي الدين لمصلحة السلاطين وملّاك الأراضي، حيث أن السلاطين يدعون بأن الله هو الذي نصبهم على الناس، ومن هنا أصبح الاقتصاد الإقطاعي غير قادر على توفير العيش الكريم ولم يلب رغبات المجتمع وتطوير طرق الإنتاج كونه في صراع مستمر مع المنتجين، حيث أصبحت أراضي الناس عرضة للاستغلال والنهب، الأمر الذي جعلهم محبطين، لكونهم لم يملكوا الوعي الطبقي، فمن الضروري أن يتفهموا البناء قاعدة عريضة، عليهم أن يقيسوا الأمور طبقيا وليس بأمور عاطفية، ومن أجل تحقيق تقدم اجتماعي واقتصادي لابد من تحالف طبقي راق بعيداً عن العواطف ويناضل نضالاً لاهوادة فيه، ومن هنا لابد أن نحدد كيفية بناء الوطن، هل على مذهبية طائفية أم وطنية؟

فإذا كانت مذهبية ستكون (فصل الدين عن الدولة) خطوة صحيحة وإذا كانت وطنية، حيث أغلبية المجتمع من الغالبية الوطنية والكادحين لها أن تكون الخطوة الأصح، وذلك لكي تسن الوطنية قوانينها وتشريعاتها ويكون للدين له استقلاليته، وهذا سبب استحالة التوصل لإصلاح حالنا المتفاقم والمتردي على الدوام، ولذلك بحت حناجرنا في كثير من المواضيع، ونحن نحذّر من الغوص في وحل العصبيات والإثنيات والطائفية، وها هو الجيل الجديد اليوم تعلم وتشبع بهذه المدارس ولأنه لا يقرأ ولا يتفقه، بالغ في الغلو والمزايدة والمعظم يصفق لهذا (النجاح) الذي يصعد على السطح بتزايد ملفت، بعد هذا، ما العمل؟؟

في الحقيقة إن الكثير من يعرف الحقيقة ولكنهم يخفون رأسهم في الرمل كالنعامة، والبعض يلجأ للعنف الناعم تشويه الطيف الآخر وحرقه اجتماعياً دون الوقوف والتمعن مكتفين بالمثل (لاعبوني والله بخرب)!

علينا أن نتأمل إفرازات ما يدور على الساحات في الوطن العربي من حروب ومآسي، تشن لأجل مصالح تحت غطاء ديني، يستغلون فئة ويجيشونها ضد فئة أخرى، رغم أن الطرفين طيبون وعفويون لا يضمرون حقداً لبعضهم البعض، لكن أصحاب المصالح يتربصون ويريدون لهم التقوقع في دائرة الخطأ والطائفية والتطرف، يتخوفون من حوار لابد منه طال الزمن أم قصر، يجب اغتنام الفرصة لكي لا نصبح مثلما تراه أعيننا الآن من دول عانت من سيل الدم والانقسامات التي فككت هذه الدول، وفي أمور نؤكد صحتها بأن الصحوة هي امتداد للتطور وكسب التفاعل الاجتماعي الذي يستوعب نهضة شعبنا من خلال تلاحمنا وتآخينا وبقناعة وطنية صلبة.

كلنا ننشد حرية المعتقد لأنه عصب الحرية مادام كل منا يحترم الآخر وكل مواطن عليه واجبات مثلما له احتياجات لوطن نريد له الرقي والتقدم والإزدهار والنهضة.. وطن حر وشعب سعيد.

بصراحة

قبل أربعين عاماً كنّا في موسكو

فاضل الحليبي

تشكّل مهرجانات الشباب والطلاب العالمية التي ينظمها «اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي (WFDY)، حدثاً هاماً فعلى مدار ثمانين عاماً، وبالأخص بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في التاسع من مايو ١٩٤٥، بالانتصار الكبير الذي حقّقه الاتحاد السوفياتي والحلفاء في الحرب على النازية الألمانية والفاشية الإيطالية والعسكرية اليابانية، وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى ومعه دول المنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وانتشار الأفكار الاشتراكية في العالم بشكل واسع، ما أعطى دافعاً كبيراً لحركات التحرر الوطني في البلدان العربية والعالم في نضالها ضد المستعمرين ومن أجل الحرية والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والسلم، فكانت الأفكار الاشتراكية تستقطب الآلاف من الشباب حول العالم ممن رأوا في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى نماذج للتغيير والثورة على المستعمرين المحتلين لبلدانهم والحكام الطغاة الذين يمارسون الاضطهاد والاستبداد ضد شعوبهم وينفّذون أجندة المستعمر الأجنبي.

وبرأي كارل ماركس فإن النظرية العلمية ليست لتفسير العالم بل لتغييره، بالتأكيد من خلال القيام بالثورة مثلما حدث في روسيا على يد البلاشفة الثوار في أكتوبر من عام 1917 بإسقاط حكم القياصرة وإقامة أول نظام اشتراكي في العالم بقيادة فلاديمير إيلتش لينين، ومن هنا كانت أنظار الثوار في العديد من دول العالم آنذاك شاخصة نحو روسيا الثورة الاشتراكية، لهذا كان صمود ومقاومة شعوب الاتحاد السوفياتي في وجه القوات الألمانية النازية الغازية وفيما بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية في أعوام 1939/ 1945، مبعثَ فخرٍ واعتزازٍ الشعوب التوَّاقة للانعتاق من سطوة القوى المستعمرة والإمبريالية.

أول مشاركة بحرينية

عودة للمشاركات في مهرجانات الشبيبة والطلبة، فإن أول مشاركة لوفد شبابي بحريني في مهرجانات الشباب والطلبة العالمية، كانت في موسكو عاصمة الاتحاد السوفياتي في عام 1957، في المهرجان العالمي السابع للشباب والطلبة ، بوفد يتراوح بين ستة إلى سبعة أشخاص شبان، وبعدها توالت المشاركات في مهرجانات الشباب والطلبة العالمية التي ينظمها (WFDY)، ونحن هنا بصدد مشاركتنا في المهرجان الثاني عشر للشباب والطلبة العالمي في موسكو أيضاً صيف عام 1985، حيث مضى عليه أربعون عاماً.

نُظِّم المهرجان في الفترة من 27 يوليو إلى 3 أغسطس من عام 1985، وحضره 26 ألف شخص من 157 دولة. وكان شعار المهرجان «من أجل التضامن والسلام والصداقة ضد الإمبريالية»، وكان يردد الشعار باللغة الروسية (مير، دروجبا، فستيفال)، يعني (السلام، الصداقة، المهرجان) أقيم حفل افتتاح المهرجان في أستاد لينين آنذاك في العاصمة موسكو، بحضور حوالي مائة ألف من الوفود المشاركة والشبيبة الروسية الكومسومولية، امتلأ بهم الأستاد.

افتتح المهرجان بكلمة ميخائيل غورباتشوف الذي كانت قد مضت خمسة أشهر فقط على انتخابه أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوفيتي، خلفاً لقسطنطين تشيرنينكو، وأصبح غورباتشوف أخر زعيم سوفيتي، بعد أن ساهمت سياسته الجديدة المعروفة بالروسية (البيروسترويكا والجلاسنوست) في انهيار الاتحاد السوفياتي، وبعد كلمة غورباتشوف سارت الوفود المشاركة في المهرجان وهي تحمل أعلام بلدانها ويلبس أفرادها ازيائهم الوطنية، وهو ما فعله أيضاً وفد البحرين المشارك في المهرجان، وما لا ننساه أنه بعد انتهاء حفل الافتتاح أمطرت السماء أمطاراً رعدية بغزارة، قيل لنا بأنه تمّ تبديد الغيوم بواسطة طائرات رشّت في الأجواء مواداً كيميائية قبل افتتاح المهرجان، الذي تمّ بدون أمطار. كان النشيد الأممي يصدح في مدرجات الأستاد بكل لغات العالم، وبلحن واحد ليشكل لوحة بانورامية غنائية جميلة. كنا حلمنا نحن معشر الشبيبة الطلابية والعمالية والمثقفة البحرينية المنظمَّة في اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني (أشدب) في تلك الأيام زيارة موسكو عاصمة أول بلد اشتراكي في العالم، وتحقق حلمنا برؤية ذلك البلد الذي طالما سمعنا عنه وقرأنا عن أدبائه الكبار العظماء أمثال دوستويفسكي، مكسيم غوركي، تولستوي، تشيخوف، بوشكين وغيرهم.

كنا نمنُّ النفس بأن نحضر بدار الأوبرا باليه بحيرة البجع المشهورة في مسرح البولشوي، واحداً من أشهر المسارح في العالم، لكن لم نوفق في الحصول على تذاكر، لانها نفدت، بسبب وازدياد الطلب من قبل المشاركين في المهرجان.

حضرت المهرجان شخصيات معروفة من الوطن العربي والعالم، مثل الشيخ إمام عيسى الفنان المصري الكبير رفيق درب الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم رأيته في إحدى القاعات يعزف على عوده ويغني. وفي إحدى الساحات التي غصَّت بالحضور كانت الشيوعية الأمريكية السمراء أنجيلا ديفيز (البروفيسورة والاكاديمية) تلقي خطاباً ضد الإمبريالية وتصفها بالعدوانية والعنصرية والكراهية تجاه السود في أمريكا وضد الشعوب المناضلة من أجل الاستقلال الوطني والمساواة والعدالة الاجتماعية.

حظي الوفد الشبابي البحريني مثل غيره من الوفود بحسن الاستقبال والضيافة من قبل شبيبة الحزب الشيوعي السوفياتي (الكومسومول)، منذ وصوله موسكو، حيث بدأ البرنامج المقرر، ففي المساء كانت لنا جولة في نهر موسكو، وشارك أعضاء الوفد في فعاليات المهرجان، وكان أهمّ نشاط قام به حملة التضامن مع المعتقلين والسجناء السياسيين، ولاسيما مع المناضل والفنان الراحل مجيد مرهون الذي كان محكوماً بالمؤبد ومضى على سجنه سبعة عشر عاماً، فبالرغم من نيل البحرين استقلالها الوطني في 14 أغسطس عام 1971، لم يُطلق سراحه، وقد أُرسلت سبعة آلاف بطاقة تطالب حكومة البحرين آنذاك، بإطلاق سراحه، وكذلك المطالبة بإطلاق سراح المناضل الكبير الراحل أحمد الشملان حيث مضى على سجنه خمس سنوات بعد عودته للبحرين في عام 1981.

قبل أن نغادر موسكو قصدنا الساحة الحمراء، فكيف نزور موسكو ولا نذهب لأشهر ساحة في الاتحاد السوفياتي، هناك الكرملين حيث مقر الحكومة والرئيس، وفيها ضريح لينين والقادة السوفييت، وقفنا نتظر دورنا في طابور طويل من أجل الدخول للضريح ورؤية جثمانه المحنط. حاول البعض من الروس المعادين لأفكاره دفنه في إحدى المقابر الروسية ولكنهم لم يفلحوا. بعد الدخول إلى ضريحه وبصمت وهدوء ألقينا نظرةً على ذلك الزعيم الكبير الذي غيَّر روسيا وساهم بأفكاره بتغيير العديد من البلدان في العالم وألهمت أفكاره الملايين من العمال والكادحين والمثقفين في العالم. ليس بعيداً عن الساحة يقع مبنى وزارة الخارجية، ومسرح البولشوي الشهير، وأجمل الكنائس والمتاحف، وقبر الجندي المجهول.

بعد أربعين عاماً على مشاركتنا نتذكر تلك الأيام الجميلة والرائعة التي عشناها في موسكو، فكانت الحياة إبَّان الاتحاد السوفياتي بسيطة تختلف عن هذه الأيام في روسيا، وبالرغم من الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، بقيت القوى الإمبريالية وغيرها في العالم تخشى هيبة وقوة الاتحاد السوفياتي.

(قف)

المطلوب فرض عقوبات على إسرائيل

الاعتراف الدولي بدولة فلسطين مكافأة لإسرائيل. كان على إسرائيل أن تشكر كل دولة اعترفت بها، لأن الاعتراف، كما يذكر الصحفي اليساري الإسرائيلي جدعون ليفي، في مقال نَشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، تعريب صحيفة «الاتحاد» الفلسطينية، جاء كبديل زائف للعقوبات الحقيقية، التي كان لابد من اتخاذها الآن. الاعتراف بديل زائف عن المقاطعة والعقوبات التي يجب فرضها على دولة ترتكب إبادة جماعية.

فهد المضحكي

الاعتراف كلام فارغ تستخدمه الحكومات الأوروبية المترددة والضعيفة، لإظهار غضبها على الرأي العام بأنها ليست صامتة. لكن الاعتراف بدولة فلسطينية غير موجودة ولن تُقام قريبًا، وربما لن تُقام أبدًا، هو في الواقع صمت مخز. الناس يتضورون جوعًا في غزّة، وأوروبا تعترف بدولة فلسطينية.

هل سينجو شعب غزّة الجائع من هذا؟ سؤال يطرحه ليفي، الجواب، من وجهة نظره، بإمكان إسرائيل تجاهل هذه التصريحات، طالما أن الولايات المتحدة تقف إلى جانبها. هكذا نتحدث عن «تسونامي»، ونعلم أنه لن يلعق شواطئ إسرائيل، مادام الاعتراف غير مصحوب بثمن إبادة جماعية.

رئيس الحكومة البريطانية كير ستارمر، من أوائل من اعترفوا بالموجة الحالية بعد أن تجاوز الرئيس الفرنسي، الذي سارع إلى تصوير خطوته على أنها عقاب (مشروط) لإسرائيل، أداءً لواجبه. إذا أحسنت التصرف، كما وعد، فسيتم إلغاء رفضه. لماذا يُعتبر عقابًا يا سيادة رئيس الحكومة؟ إذا كان الاعتراف بدولة فلسطينية يُسهم في حل المشكلة برأيك، فلماذا يُعتبر عقابًا؟ وإذا كان عقابًا برأيك، فأين هو؟ هذا ما يحدث عندما يهبط تهديد ترامب على أوروبا ويشلها، وعندما يتضح أن من يفرض عقوبات على إسرائيل سيدفع ثمنها. في هذه الأثناء، يفضل العالم التهريج الكلامي. العقوبات تفيد روسيا لا إسرائيل.

جرّت خطوة ستارمر دولًا أخرى كثيرة معها، وهو ما يُصوَّر في إسرائيل على أنه انهيار سياسي وتسونامي. لن يوقف الإبادة الجماعية. ولن يحدث هذا دون اتخاذ خطوات دولية عملية، وهي بالفعل أكثر إلحاحًا، لأن القتل والتجويع مستمران بكثافة أكبر في غزّة. كما أن الاعتراف لن يُثني دولة. وكما قالت اليمينية الإسرائيلية المتطرفة، رئيسة بلدية كدوميم سابقًا، دانييلا فايس ذات مرة، بعد موجة سابقة من الاعترافات: «أفتح نافذة بيتي فلا أرى دولة فلسطينية». ولن تراها قريبًا.

على المدى القريب، تستفيد إسرائيل من موجة الاعتراف هذه، لأنها بديل عن العقاب الذي تستحقه. على المدى البعيد، قد تكون هناك فوائد في الاعتراف بدولة وهمية، لأنه يثير الحاجة إلى حل. لكن الأمر يتطلب قدرًا هائلًا من التفاؤل والسذاجة للاعتقاد بأن الاعتراف مهم. لم يكن التوقيت سيئًا أبدًا.

الاعتراف الآن مجرد صفارة في الظلام.

الفلسطينيون بلا قيادة، وللإسرائيليين قيادة فعلت كل شيء لإحباط قيام دولة، بنجاح. إذا أرادت الحكومة البريطانية دولة للفلسطينيين، فهذا جيد، ولكن طالما أن الحكومة الإسرائيلية ومستوطنة «يتسهار» لا تريدان ذلك، وواشنطن تدعم إسرائيل بشكل أعمى، فلن يتم تأسيسها.

عندما يكون اليمين الإسرائيلي في ذروته، ويصوت الوسط الإسرائيلي في الكنيست لصالح الضم وضد قيام دولة فلسطينية؛ عندما تكون حماس أقوى جسم سياسي في الجانب الفلسطيني، والمستوطنون وأعوانهم أقوى جسم سياسي في إسرائيل – عن أي دولة فلسطينية نتحدث وأين؟

هذه زوبعة في فنجان. العالم يقصّر في واجبه، وإسرائيل تواصل التدمير والتجويع والمجازر. من المستحيل تخيل ظروف أسوأ من هذه للحلم بدولة. أين ستُقام؟ هل هناك قوة ستُجلي مئات الآلاف من المستوطنين؟ من هي؟ هل هناك معسكر سيُقاتل من أجلها؟

من الأفضل أولًا اتخاذ إجراءات عقابية تُجبر إسرائيل على وقف الحرب، أوروبا لديها الإمكانيات لذلك، ثم وضع الحل الوحيد المتبقي على جدول الأعمال: الديمقراطية بين البحر والنهر؛ صوت واحد، شخص واحد. الفصل العنصري أو الديمقراطية، للأسف لا يوجد خيار ثالث.

مدينةُ الدموعِ المتعلّقةُ بقشةِ المفاوضات

د. هيا فريج *

في هذه المدينةِ التي يحسبُها الناسُ قادمة من عالم الأساطير، والحكايات الخُرافية، تتكسرُ كلّ يوم تماثيلُ الأبطال في طوابير التكايا، وتتحطم أواني الأطفال الفارغة أمام القدور التي لا تكفي لجموعِ الجائعين، وتتقطّع قلوب الأمهات إثر صرخات الأطفال الذين لا يجدون ما يأكلون...

ينطفئ دخانُ المصباح السحري، ويختنق الماردُ من حرّ الخيام المثبتة في الرمال الحارقة، يحاول أن يطفئ نارها فيلسعُه الماءُ الأُجاجُ الذي يغسلُ به يديه، ليس له سوى أن يغرفَ يديْه في البحرِ المفتوحِ أمام ناظريه، المغلقِ في وجهه...

يستبيحُ العالمُ الصامتُ المتخاذلُ دمَه، دون أن يوقف الإبادة الجماعيّة، ودون أن يعطيه حقّه الطبيعي في الحياة، أو يرحم ضعفَ المدنيين الذين لم يكن لهم يدٌ فيما جرى، فلا مكانَ آمنٌ في القطاع، ولا تأشيرةَ سفرٍ تُمْنَح للغزيّ الذي ينوي النجاةَ بنفسِه من المحرَقة، لا سبيلَ للخلاص فقد كَتَب القدرُ عليه القَتلَ والقتال وهما كُرهانِ له!

في ليل المدينة المحاصرة المعبّق برائحة البارود، المشتعلِ بنار الغارات، يهرب الأطفال إلى الحكايات التي لا تستطيع النساءُ قَصّها قبل النوم؛ فزعًا من الطائرات التي تقض مضاجعهنّ، وتقلق منامهنّ، وتخترق خصوصياتهنّ، وتحرمهنّ من أن يعشنَ لحظاتِ السعادة مع عوائلهنّ...

يعيشُ الأطفالُ الحلمَ، ينتقلون في منامهم عبر بساط علاء الدين السحري إلى الجزر البعيدة، ليلقوا فيها سندبادَ المرهَقَ من المغامرة والترحال، يأملُ الجائع الخائف أن يجد في استقباله أبسط الطعام الذي قطعَه الاحتلالُ عنه؛ لغرض كسر إرادته، وإجباره على الانصياع أو الرحيل، لا يطمعُ بالكنوز، ولا يستقبل الهدايا، كل ما يريده هو أن يحصل على ما يسكت به عصافير بطنه عن الزقزقة...

يُحْكِم الموتُ قبضته على غزة المحاصرة، ويذبح السّهاد عيونها التي تحرسُ بقلقِ المدينة، ليس في يديها شيءٌ، وليس في استطاعتها أن تواجه الغيلان، فلا تجد إلا أن تفترشَ العذابَ جمرًا تضع رأسها عليه!

تحاصر قواتُ الاحتلال شرقها وشمالها وجنوبها، وترتكبُ الفظائع في من تبقى من أهلها، وتتركُ النازحين في غربها تحت رحمةِ جنودها، تتساقط منشوراتُ الإخلاء تباعًا، وتصدح طائرات الكواد كابتر بأصوات مسجلة تحذرُ الغزيين في المدينة بأنهم في منطقة قتال خطرة، وعليهم الانتقال جنوبًا؛ حفاظًا على حياتهم، يلوح في الذاكرة مشهد الرابع عشر من أكتوبر، حين أجبرت قوات الاحتلال الغزيين في الشمال على الانتقال إلى الجنوب، تحت تهديد الصواريخ والحزامات النارية، وبضغط من الاتصالات المسجلة والمباشرة عليهم.

تتنازعُ القرارات حول البقاء في المدينة الأمِّ التي افتديناها بالأرواح؛ محاولين حماية ما تبقى من البلاد، وليس التدميرُ الكاملُ لمخيم جباليا (وما حوله من الشمال) إلا انتقامًا من الوجود الفلسطيني الذي وقف صامدًا لأكثر من سنة، مثل حجر عثرة أمام مخططاتهم التوسعية، فقد أبى أحفاد المهجّرين في المخيم أن يسجّل التاريخُ نكبةَ أجدادهم مرتيْن، أو أن ينفذوا مخطط التهجير، فلم يمتثلوا لأوامر الجيوش، ولم ينتقلوا إلى الجنوب، لكنّ التفوق العسكري الإسرائيليّ حقق الغلبة على الغزيّ الذي وقف وحيدًا أعزلَ دون دعمٍ أو مؤازرة، فخرج من المعركة خاسرًا كل شيء، حتى وجوده!

يستيقظُ الغرقى الغزيّون كل صباح، متشبثين بقشّة المفاوضات، متعلّقينَ بطرفِ حبالِ الأمل؛ عَلّها تأتي بتهدئةٍ مؤقتة أو وقف دائم لإطلاق النار، لا فرقَ، فقد أُنهك الجبابرة من تجريبهم أصنافَ العذاب، وهل هناك عَذابٌ أكبر من البحث الدؤوب عن النجاة في بلدِ الموت والخراب، ومن الجري المستمر بين زخّات الرصاص، وقذائف الدبابات، وصواريخ الطائرات، ثم النزوح الذي لا ينتهي إلى وجهةٍ معلومة أو آمنة؟!

يتلقفُ الكلُّ أخبار التهدئة، ترتفعُ نشوتُهم حينَ تُسرّب الأطراف رغبتها في الموافقة على الاقتراح، وحين تؤكد الوساطات القطرية والمصرية قرب التوصل إلى اتفاق، ثم تنحدر المعنويات مثل حجر متساقط من القمة إلى القاع، حين يعلن أحد الأطراف رغبته بالتعديل على المُسوَّدة...

تتبعثرُ الكلمات، وتتجمعُ الدموع في المآقي، حين يتسربُ خبرُ مغادرة أحد الوفود دون توقيع الاتفاق، الكلُّ المُلتاعُ في غزة يريدُ أن تكون الموافقة (نعم دون لكن)، لكنّ المتنعمين في الخارج لهم آراؤهم وتعديلاتهم، التي لا يستطيع أبناء الميدان –الذين تتساقط دماؤهم، وتتهاوى أجسادهم، وتُقطع أشلاؤهم، وتُدمّر منازلهم في غزة– التعديلَ عليها.

من يستمعُ إلى رغبة الكل المُعلنة في غزة التي تطالبُ كلَّ ثانيةٍ بوقف شلالِ الدم؟ ومن يلتفتُ ليوقفَ الغيلانَ التي تستعد للانقضاض على المدينة؟ ومن يمكنه أن يواجه شبح التهجير الذي يلوح في الليالي الأليمة والنهارات المنكوبة؟ من ينقذُ المدينةَ قبل أن ينفجرَ البُرْكانُ المحمّلُ بالرماد والرّكام؟! من يحمي مليون نازح يطلقون صرخاتِ بقائهم الأخيرة، وهم على شفا حفرة من النار؟

ليس للغزيّين وسط الترقّب الحزين من مطلب سوى أن يفرضَ القرارُ الحاسمُ بضرورة إنهاء المَقْتَلَةَ بأية وسيلة كانتْ، فلا شرفَ أبقى من صيانة الأرواح، وحماية الأعراض، ولا ثمَنَ أغلى من الثمن الذي يدفعونه كل يومٍ من ضياعِ ممتلكاتهم، ودمار مساكنهم، وفقد أهلهم وأحبتهم وصحابهم.

* كاتبة وأكاديميّة فلسطينية مقيمة في غزّة

أن يقارع صحفي الصاروخ

من سيكسب التحدي في النهاية؟ الكلمة والكاميرا أم الصاروخ ومعه كل جبروت شركات التكنولوجيا الرقمية، تلك التي تتطوّع خفية لتوظفها إسرائيل في مهماتها التجسسية المعلوماتية والحربية في غزة والضفة؟ قبل أيام قليلة سرّبت الغارديان البريطانية خبراً عن استخدام إمكانيات مايكروسوفت للتجسس على مليون مكالمة هاتفية تجري بين الفلسطينيين في كل ساعة. هذا السؤال عن إمكانية مقارعة الكلمة للجبروت العسكري التكنولوجي، يطرح نفسه بعد إسكات إسرائيل صوت أنس الشريف ليصبح شهيداً بعد أن كان ولعامين شاهداً ورسولاً للحقيقة لصالح العالم كله، وصوتاً للذين لا صوت لهم في غزة.

د. أمينة أبو شهاب

وأمام سمع وبصر الغرب «الديمقراطي» وصمته المريب، استشهد في غزة خلال الاثنين وعشرين شهراً الماضية مائتان وسبعون صحفياً، سلّم كل منهم الراية للآخر وهو يمضي شهيداً للكلمة والحقيقة التي تعمل إسرائيل على طمسها. وكان ذلك لأن حضورهم كان عالمياً بنقلهم لجرائم إسرائيل في ظل غياب الإعلام الغربي التام.

لكن استشهاد أنس الشريف العشريني اليافع والمنتمي إلى مخيم جباليا وانطفاء نور عينيه التي كان فيهما شيء غير قليل من الطفولة والأمل، والتصميم على أداء «الأمانة» وتحمل «المسؤولية»، كما هي كلماته دائماً، كان له وقع آخر مختلف وطعم مر على الألسن، ولا فرق في ذلك ممن نعوه وعلى نطاق واسع في وسائل التواصل الاجتماعي من العرب والنشطاء الغربيين ومن سائر المعمورة. كان لهذا الصحفي خطاب واسع المدى من الوقائع والحقائق، كرّس حياته المعدودة الأيام لكشفها وذلك رغم أنف العدو، فلم يكن معقولاً في نظره أن تزهق كل تلك الأرواح وتراق أنهار الدماء، دون أن يكون هنالك شاهد يرويها بلسانه إلى أسماع العالم. مهمته الفريدة والمتعددة الأبعاد، بل والعملاقة بكل المقاييس كان كثيراً ما يصفها ب«الأمانة» و«المسؤولية» و«الرسالة» وهذه المفردات تمثل إرادة واعية للسير في طريق الاستشهاد في سبيل الحقيقة والكلمة. وإسرائيل التي تريد أن تحدد ما يقال على الألسن هي عدو طبيعي لمفردتي الأمانة والمسؤولية وأخواتهما، وتستفز منهما إلى أبعد الحدود فهي من إنتاج مخيمات عرفت عدوها الذي لا يرحم، وعرفت كذلك بالتالي أنه لا وجود لنصف حقيقة. ثم إن إسرائيل تعلم أنها في مأمن دائم ما دام هنالك إنتاج بالجملة لصحفيين في جوارها لا يقولون نصف الحقيقة ولا ربعها وإنما أقل من ذلك بكثير.

لماذا هذه الغصّة الناشبة في الحلوق والصدور والحزن الثقيل المخيم على القلوب عرباً وعلى امتداد العالم على إنهاء حياته الغضّة بغارة درون؟ هل لأنه في هيئته ومنطوقه وسلوكه وخاصة بعد وصيته يمثل رسول الحقيقة في شكله المثالي النقي الصافي، والذي ما كان أن يُقتل لأن هذه الفئة من البشر محرمة على القتل في كل ثقافة وعرف ودين؟ وهل لهذا يا ترى يعاهده الآلاف من الناشطين الأجانب بعد استشهاده على السير على دربه في كشف الحقائق؟ أم أن الحزن عليه هو من جديد سؤال عدم تكافؤ تحدي إجرام الصواريخ وفجورها مع الصدر العاري لصاحب الكلمة وحامل المايكروفون والكاميرا؟ وكون أنس الشريف مع وعيه لعدم التكافؤ هذا، قد أعلن مراراً على الشاشة عدم امتثاله لأمر إسرائيل بالتوقف عن نقل ما يحدث وحتى بعد قتل والده قصفاً كإنذار أخير له؟ من هو منا في النهاية الذي يريد أن يكون قضاء إسرائيل أمراً مقدوراً وخاصة مع هذا الصحفي الذي يذهب إلى هذا البعد في الإيمان بقضيته. كانت تتوجّه الأعين إليه ليس فقط لإنه الأكثر إحساساً بأهل غزة والأكثر صدقاً ودقة في نقل وحشية الإبادة، وخاصة في مرحلتها الأخيرة الأخطر وهي المجاعة، وإنما كذلك لأنه على رأس قائمة القتل الإسرائيلية. من هنا، كانت القصة بينه وبين متابعيه ستصبح شخصية تماماً: وسيتأكدون كل صباح من أن يد إسرائيل لم تطُله وأنه لا يزال يدبّ في حواري غزة بقامته الصغيرة يوثّق منها لتقاريره الحية التي أصبحت تتداول في العالم كله، في ظل غياب الصحافة الغربية والإعلام من أي نوع. ما كان سيوثقه منها كان سيصنع الفارق الحاسم ما بين جريمة نظيفة، أي بلا دليل وجريمة بأدلة وبصمات ووجه مجرم. وهذا ما كان سيصبح أقوى نسيج في الرواية الفلسطينية التي أخذت تسود في العالم وتبطل الأكاذيب الإسرائيلية. شاء الله أن يطيل عمره بما يكفي، كي ينال من عدوه أكثر بنور حقائقه التي تتوجه إلى العالم والتي تتحول إلى نار تحرق صورة الكذب الإسرائيلي، وكان ممتنا لله على «فسحة» العمر لأشهر قليلة، كما سجلته كاميرات زملائه والتي سجلت أيضاً لقطات له وهو ينزوي ليبكي ما يراه من قتل الأطفال الجوعى. الخصم العنيد لإسرائيل عاش شهوره الأخيرة في خيمة، وكان يفترش الأرض ويلبس النعل البسيط أو ما يسمى بالبلدي الغزاوي «الشحاطة».

وبما أن إسرائيل تعرف جيداً الحجم الحقيقي لخصومها فقد ذيّل الجيش الإسرائيلي وعلى غير العادة قتله لأنس الشريف بتوقيعه معلناً ذلك في بيان انتصار استغرب له البعض من العرب جهلاً، وهلل له كثير من الصحفيين والسياسيين الإسرائيليين. ثم جاء الإعلام الإسرائيلي ليتحدث عن أن توقيت القتل كان لتسهيل مهمة الجيش في احتلال غزة. وهكذا وضحت الحقيقة الآن عن أنس أنه كان أكثر من فرد واحد. كان يقوم مقام جماعة أو فريق كبير، أو بالتعبير الأكثر فصاحة في لغتنا الجميلة: كان أمة وحده. كان يقارع الصاروخ بأمل انتصار شعبه عليه يوماً.

«التغطيـــة مستمـــرة»!

بتول حميد

بخفة المتسلل لا بجزع المقتحم داهم أنس مهجة الفؤاد بلا ميعاد.. نحو ملاذه في آخر جمعة زيارة خاطفة بعد غياب «دام لأكثر من شهر» عانق فيها زوجته التي قوست كثيفاً ذراعيْ الانتظار.

حمله الشوق إلى طفليه وصمم على إيقاظهما، احتضنهما طويلاً كأنما يملأ من حبهما ما يفيه للرحيل القريب. ثم استلقى مرهقاً على السرير فاتحا ذراعيه، تقول زوجته بيان السنوار «تحدثنا طويلاً، كانت ملامحه تشي بإنهاك لم أره منه قط، لأول مرّة يعبر عن شوقه لراحة ولعيشة بسيطة خالية من القلق والتهديد»».

هي المرّة الأولى بلا هواتف ولا أنباء عاجلة، لم يعبأ شيئاً في صدره سوى شعوره، في مقلتيه سكون يتحسس الوداع. قبيل أن يلوّح بالمغادرة، كانت خطاه بوقع حاد على قلب زوجته، التفت لها بابتسامته المأمونة "موعدنا يوم ميلادكِ، راجع وفي يدي هدية لك".

جاء يوم ميلادها في 14 أغسطس ببرود جنائزي لم يأتِ فيه أنس بهدية، بل عاد محمولاً على الأكتاف. صاحت «افتحوا الكفن أريد أن أرى وجهه وأقبل وجنتيه»، لكن من حولها رفضوا، فأنس «بلا عينين» أسدل بصره لمثواه الأخير..

راح نكسر ظهرك بزوجتك وأطفالك يا أنس، لقد عرفنا مكانهم وسنقتلهم!"، كان هذا الشكل الجديد للتهديد الأخير الذي تلقاه أنس في اتصال من جيش الاحتلال، عانى بعده وجل الفقد، طلب من زوجته مغادرة المنزل بشكل عاجل. قلق شنيع تناول أنس حتى رمقه الأخير "قبل الغارة بخمس دقائق، هاتفها وفي صوته شجن "مش عارف أقعد يا بيان خايف عليكم، أهرب للتغطية لكن عقلي مشغول بكم.. عليكم أن تغادروا غزة لجنوب القطاع، إذا وضعت الحواجز بين الشمال والجنوب، لن تمري بسلام، سيبتزونني بكم والموت أهون عليّ من ذلك". لكن جاء قاطعاً "يمكنني فعل أي شيء إلا أن أبتعد عنك، انزع الفكرة من رأسك".خمس دقائق فقط بين إغلاقها الهاتف وغدر الغارة.

في العزاء، تجتمع أمهات الشهداء حول والدته، ومن مدخل السرادق تتساءل زوجات الشهداء عن مكان زوجته وهنّ لا يعرفنها، الناس هنا سواء في رعونة الفقد. يهمسن «ارفعي رأسك، زوجك مفخرة، تعب كثيرا وآن له أن يرتاح». تبكي بحرقة «أشعر أنه سيباغتني باتصال أو زيارة ليُكذّب ما يقولونه.. قلبي يتآكل.. من يعيده إليّ؟.

من يلمح أنس لا يملك ألا أن يألفه.. يملك وجهاً يفرج عن ابتسامة حية لطالما كانت تذيع أخبارا سارة وسط الغارات القاتلة، أو تنبيه شديد نود أن نشيح عنه أرواحنا دون أن تمس الواقع.

أنس اليافع الذي يغزل كلماته بين قسوة الحرب ورهافة الأمل شيع أصدقاءه ورافق وحدته ببسالة متناهية تقوده لمجزرة يوثقها لنا قبل أن يخمد دخان القذائف. يتحرك بين النساء والأطفال والشبابِ فنود لو أننا نمسح عنهم آلامهم بابتسامته ذاتها؛ كأننا نأمل أن يطل يوماً ويبشرنا بنهاية الكابوس.

لم ينته الكابوس.. متسمرين من هول الأحداث وما زلنا في مكاننا، تشيعنا عبارة «التغطية مستمرة»، ماء أعيننا لن يفي كل هذا الدم المسفوح؟ لن يفي كل هذه الطفولة الميتة العالقة في أظافر الطغاة.. حيث بدت الحقيقة وحيدة.. حيرى وحزينة.. وأضحت الفضائل مستهجنة غريبة.. وانهارت المبادئ على صخور المصالح.. وأذاع اللسان ما يأبى الضمير!.

ومن المفارقات البغيضة أن أجيال متعاقبة سالت حولها دماء المجازر.. لكنها كانت جاهلة بما يحدث، وفيما بعد لمست الأدخنة والجروح الغائرة من الرواية الشفهية والإذاعات والصحف. لكننا الجيل «الأقل دماً» في تاريخ الإنسانية، جيل العلم الكامل بتفاصيل الأشياء، جيل تُبث له المذابح بثاً مباشراً على الأثير وتُدين وتشتم وتسخر من الشهداء ومنه..

جـذر المشكلـة، أيـن؟!

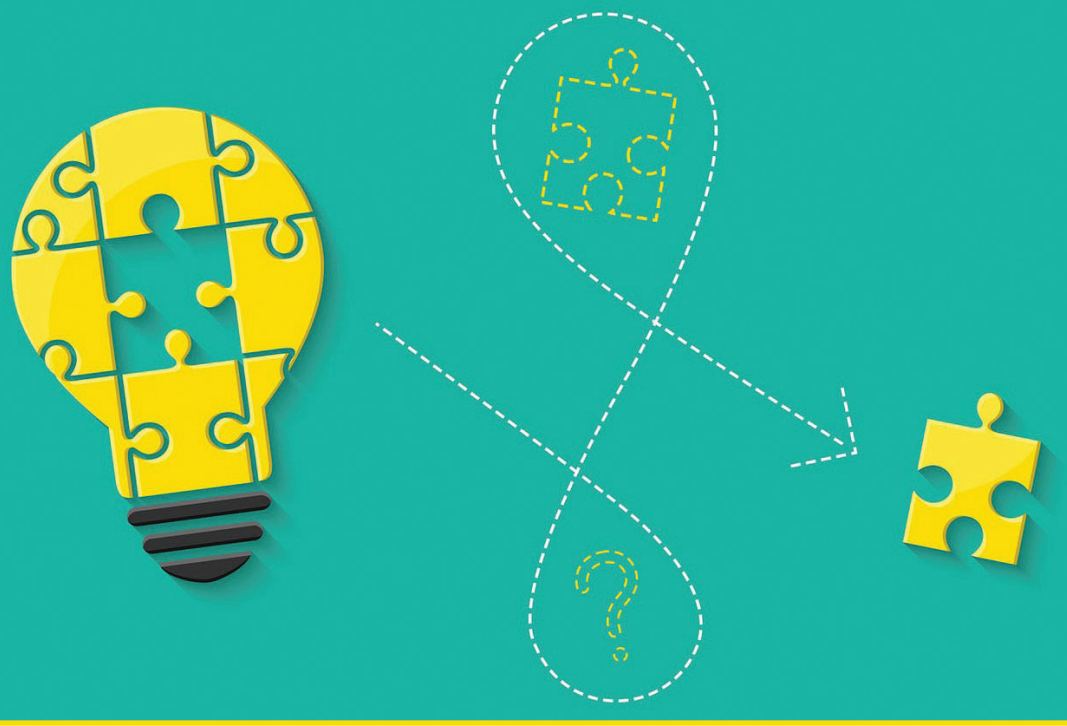

لا يختلف اثنان على أن الوطن العربي يعاني من علّة مرضيّة أفقدته القدرة على المضي قُدماً وأنه يبدو كالرجل الكسيح يربض مكانه لايقدر على الحركة، وما يزيد الأمر سوءاً أنه الآن يمر بمرحلة فاصلة بين البقاء على قيد الحياة أو الموت، وهو –والحال هذه– أقرب للأولى منه إلى الثانية. فلا الثقافةُ ثقافةً أصيلة تدفع نحو التقدم ولا الهويةُ هويةً جامعة تجمعُ شتات الأمة بمختلف تنوعاتها. في مثل هذه الظروف يخرج جنّي التساؤلات الإشكالية من قُمقُمه ويبدأ في التساؤل بِجِد؛ ما المشكلة الأساسية التي جعلتنا نصل إلى هذا الحال، هل تكمن في القوى الرجعية دينية كانت أو سياسية أو مجتمعية؟ أم في التعامل مع الإقتصاد والقوى الإمبريالية؟ أم في التعددية المذهبية والطائفية؟ أم في الإستبداد بمختلف أنواعه؟ أم في التنوير والأفكار الغربية المستوردة دون عناية أو العولمة الإستهلاكية؟

حسين آل ربيع

انتخَبَت كلّ جهة ثقافية واحداً من هذه التساؤلات وجعلتهُ سبباً وراحت تقترح الحلول، ولكن إذا أخذنا تساؤلاً واحداً دون العناية بصندوق الأسئلة المتراكمة الذي ضيّقَ على الجنّيّ قمقمَهُ، ستأتي النتائج والحلول بالتأكيد ناقصة. سيتعصب الطرف الذي شخّصَ المشكلة من جهتهِ وقعّدَ الحلول لرأيهِ دون الآراء الأخرى، وهذه مشكلة في حد ذاتها يصعب تفكيكها أو إرضاء أصحابها أو المناوئين لها من الأطراف الأخرى التي تحلل بدَوْرها وتشخّص وتضع حلولاً في جهة معاكسة لسابقاتها، ويبقى السؤال: أين المشكلة؟ عالقٌ حتى إشعار آخر.

ومن تشابُك الأسئلة وشَعَث الأجوبة التي تبدو كأنها أسلاك الكهرباء في الأحياء الفقيرة، يطل علينا الإستعمار بوجههِ الإمبريالي الإحلالي بقناع جميل يُظهر الود ويقترح حلولاً بل يفرضها غالباً، ويستميل هذا الطرف ويحرّض ذاك الطرف ويتعمّد اللعبَ بنا لعبتَهُ الخبيثة التي نعرفها كلنا إلا أننا في غمرة الفعل ورد الفعل والتراشق بيننا ننسى ذلك الوحش المتربّص بخبثه ودناءة أخلاقه. بعد الإجابة على بعض التساؤلات الشائكة تلك وبعد تحليل وقراءة مطوَّلة يقترح معظم المثقفين أن الحل الحقيقي يكمن في الدولة المدنية الديموقراطية. جميل جداً هاقد وصلنا الى الحل إذن، ولكن كيف يمكن ذلك التحقق؟!

تعالوا نتصور أن الوطن العربي قد تحققت فيه دولةٌ مدنية ديموقراطية ينعم فيها شعبها باتعددية المجتمعية والحرية، لنفكّرَ أين من المفترض أن تكون هذه الدولة جغرافياً؛ ماهي حدودها؟ نعلم جيداً أن وطننا العربي مقسّم تقسيماً بحيث يصعب أن تقوم على هذه التقسيمات دولة بهذه المواصفات المذكورة، ولنكن واقعيين أكثر ونقول: إننا لو أردنا أن نقيم دولة عربية ديموقراطية علينا أن نلغي على الأقل بعض الخطوط الوهمية التي رسمها سايكس بيكو وهنري مكماهون واللورد كرومر...الخ، ونمشي بقاعدة :"وحدُ بلاد الناس حدُّ لغاتها"، وهذا يتطلب اعتماداً كبيراً على النفس وتحررها من قبضة الإستعمار والهيمنة. إذن فهو خَيار غير متاح في الوقت الحالي على الأقل وأنت ترى حالَ الأمّة ودولها المشتتة، هذا ناهيك عن حركة المجتمع ومستوى تطوره وطريقة تقبله لفكرة لم تختمر وتنضج بعد بالنسبة له ولا حتى لفئة غير قليلة من المثقفين فيه. وحتى نعي تشابك الأمور ببعضها، و»أن الحال واحد» يذكّرنا هذا الوضع بفكرة حل الدولتين المقترح لدولة فلسطين بالتزامن مع ضياع جغرافيّة الدولة واستقلاليتها بسبب الإستيطان المستمر والفصل العنصري، وهو مقترحٌ لايمكن تطبيقه حتى على الورق. هذا أولاً...

وثانياً: تعالوا نسأل أنفسنا هل نشوء دولة عربية ديموقراطية في هذا المحيط العربي ممكن بحكم قواعد السياسة والجغرافيا (الجيوبوليتكس)؟ الجواب طبعاً لا، في ظل وجود دولة إحتلال مارقة لا تريد لأي أحدٍ جوارها أن ينعم بالسلام بل وحتى أبعد جيرانها مسافةً عنها.

في حالة قلنا إننا نريد دولة عربية ديموقراطية ونرضى بوجود دولة الإحتلال فإننا نطلب الشيء ونقيضه وهذا محال عقلياً. يقول تيم مارشال في كتابه "سجناء الجغرافيا" وهو كاتب انجليزي يتبنى السردية الإستعمارية ويروّج لها: إن أمريكا لن تدعم أي ديموقراطية عربية. ويقول أيضاً: عندما حكم الفرنسيون المنطقة اتبعوا النموذج البريطاني "فرق تسد"...

أرى –متواضعاً– أنه لايوجد حل واحد لمعضلة الأمة العربية بل هناك عدة حلول متسلسلة على شكل هرم ينبغي النظر فيها جميعاً حسب الأولويات من القاعدة الى القمة. قاعدةُ هذا الهرم أمُّ المشاكل تكمن في دولة الإحتلال ونظام الفصل العنصري ثم مشكلة الرضوخ التام للهيمنة الإستعمارية وإملاءاتها، ثم تأتي بعد ذلك معضلة الإستبداد التي لا يمكن فصلها عن القاعدة الأولى وهي مرتبطةٌ بدورها بالموضوع الذي يليها، أعني التعددية والنزاعات الطائفية...الخ. يجب ألا يغيب عن ذهننا دور الإستعمار وأن نضعه دائماً كأولوية تبدأ منها مشاكلنا الجوهرية ونضعه تحت التحليل والنقاش والإشارة وفضح مكامن الشر فيه، وهو سبب أساسي وجذري في مشكلتنا الكبرى: الدولة القومية الحديثة.

إضافةً الى مجموعة مشاكل أخرى يجب على الباحث والمثقف أن يُعمِل فيها النظر والرأي ولا يتخطاها أو يتجاهلها، منها مثلاً تقبُّل الآراء الأخرى وطرحها والتفاهم للوصول الى حل حقيقي، والتمييز الصحيح بين الذات والآخر... وإن معضلتنا طويلةُ الأمد عميقةُ الغور متينةُ البنيان تحتاج الى معاول حقيقية ثقيلة لتفكيكها وهدمها ثم إعادة البناء من جديد، شرط أن تكون مادة البناء هي الركام نفسه حتى لا ننسى هُويتنا وتراثنا وأصالة ثقافتنا.

بـــوتيـــن فـــي عيـــن هنـــري كيسنجـــر

منذ إندلاع الحرب في أوكرانيا لم يتوقف قادة الغرب عن استدعاء صورة هتلر كلما ذكر اسم فلاديمير بوتين. فهيلاري كلينتون رأت في ضم القرم عام ٢٠١٤ نسخة جديدة مما فعله هتلر حين برر اجتياحاته بحماية الأقليات الألمانية فيما بوريس جونسون شبّه الغزو الروسي لأوكرانيا بما ارتكبه هتلر وستالين في قلب أوروبا.
وهكذا وُضع بوتين في قفص النازية قبل أن تتاح حتى فرصة لقراءته دون استخدام رموز الشر في الدول الغرب.

محمد غازي العنزي

وسط هذا الضجيج جاءت مقابلة تلفزيونية مع هنري كيسنجر قبل وفاته قدّم فيها صورة مختلفة غير نمطية وصف فيها شخصية بوتين بانها أقرب إلى شخصية من روايات دوستويفسكي منه إلى هتلر جملة بدت للوهلة الأولى غريبة لكنها تحمل معنى أعمق .
كيسنجر لم يكن يبحث عن تشبيه أدبي بقدر ما كان يشير إلى أن بوتين ابن بيئة روسية محمّلة بالتاريخ والذاكرة أكثر منه نسخة نازية جديدة، فهو وريث روسيا التقليدية التي اعتادت النظر إلى نفسها كقوة عظمى ورفضت دومًا أن تُختزل في دور ثانوي.
ويبدو انه حين استدعى كيسنجر دوستويفسكي كان يحاول تشبيه بوتين بأبطال ذلك الأدب المأزوم الذين لا يعيشون في عالم من اليقين، بل في دوّامة من الصراع بين الكبرِياء والقلق، بين الإيمان والشك، بين الطموح والخوف من السقوط. شخصيات متناقضة تبحث عن معنى وسط الفوضى وتشعر دائما بأنّها محاصرة وهذه السمات كلها تبدو حاضرة في صورة بوتين أكثر مما نجدها في صورة طاغية نازي صارم الأيديولوجيا.
في مقابلته قال كسينجر إن بوتين هو ابن مدينة لينينغراد التي نشأ بها محاصرة وحمل في ذاكرتها واحدةً من أبشع المآسي في الحرب العالمية الثانية التي حاصرها النازيون لثلاثة أعوام ومات فيها نصف عدد سكّانها جوعاً وبرداً ومرضًا. نشأ في مدينة نجت بالكبرياء والصبر لا بالقوة وحدها جيل كامل خرج من تلك التجربة وهو مقتنع أن روسيا لن تُمنح الأمان من الخارج وأن عليها أن تتعلم الصمود مهما كان الثمن.
هذه الذاكرة الجماعية حفرت في وعيه فكرة أن أي اقتراب من حدود بلاده ليس مجرد حركة سياسية بل طوق جديد يخنقها لذلك يرى في تمدد الناتو نحو الشرق إعادة إحياء لحصار قديم عاشته مدينته ويرفض أن يسمح لبلاده أن تختنق مرة أخرى.
هذا البعد النفسي والتاريخي هو ما يجعل وصف كيسنجر مثيرا للاهتمام لأنه يضع بوتين في سياق درامي أكثر تعقيدا من مجرد استعارة صورة هتلر فالأول يمثل الشر المطلق والإبادة أما الثاني فهو بطل مأزوم من رواية طويلة يعيش بين العظمة والهاجس بين الطموح والخوف بين اعتقاد راسخ برسالة تاريخية وشك دائم في المستقبل بهذا المعنى فإن النظر إلى بوتين كهتلر يغلق الباب ويفرض مواجهة بلا عودة بينما رؤيته كشخصية دوستويفسكية تمنح فرصة لفهم دوافعه لا لتبريرها بل لقراءتها في سياقها.
في النهاية قد يبقى بوتين في نظر البعض ديكتاتورا توسعياً وفي نظر آخرين زعيماً يحرس هوية بلاده لكن استعارة دوستويفسكي بدلاً من هتلر تمنحنا صورة أكثر اتساعا لرجل تتصارع داخله عقدة الكبرياء مع هاجس الحصار وتتشابك فيه ذاكرة مدينة جائعة مع تاريخ أمة لا تقبل أن تُحاصر مرة أخرى صورة لرواية روسية لم تصل بعد إلى فصلها الأخير وربما لن تنتهي قريبا.

كيسنجر: بوتين ليس هتلر جديداً، بل بطل مأزوم من أبطال روايات ديستوفسكي

«نظرية الثورة الثُلاثية» في الصين والتحليل الماركسي (ا)

Cheng Enfu تشينغ إنفو هو مدير مركز أبحاث التنمية الأقتصادية والأجتماعية في الأكاديمية الصينية للعلوم الإجتماعية ، وأُستاذ في جامعة الأكاديمية الصينية للعلوم الإجتماعية، ورئيس الجمعية العالمية للأقتصاد السياسي: و Yang Jun يانغ جون أُستاذ مُشارك في معهد الماركسية، مدرسة الحزب الشيوعي الصيني ، لجنة مُقاطعة تشجيانغ، هانغتشو، الصين.

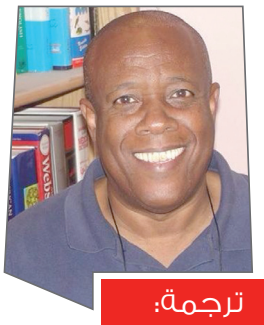

ترجمة:
غريب عوض

في ما يُعرَف بالحِقبة الجديدة، بدأت في عام 2021 مع ظهور شي جين بينغ Xi Jinping كرئيس للحزب الشيوعي الصيني ورئيس جمهور الصين الشعبية، أصبح هناك تقدمٌ مُضطرد لإضفاء الطابع الصيني على النظرية الماركسية وعلى مفهوم الإشتراكية بخصائص صينية، مُنتشرة في كافة جوانب المجتمع، وتم أعتمادها كمبدأ حاكم للصين بكاملها. غير أن هذا التحول لم يُنظَر لهُ كإنفصال حاد عن الماضي، بل كتقدمٌ مُستقبلي للثورة الصينية، كما يرمز إليها قادتها الثلاثة الأبرز على مر تاريخها، ماو تسي تونغ ، و دنغ شياو بينغ، و شي جين بينغ، الذين يرمزون إلى فترات الإستيلاء الثوري على السُلطة، والإصلاح الثوري (أو ثورة الإصلاح)، والعصر الجديد ، الذي يُنظر إليه الآن على أنهُ يُمثّل فترة الثورة الإنتقالية التي تهدف إلى إكمال الثورة. وقد أعاد شي جين بينغ طرح دعوة «إكمال الثورة»، التي أطلقها ماو لأول مرة، وأحياها مرة ثانية شي جين بينغ في عام 2016، وظلت خلال السنوات القليلة الماضية موضوعاً ثابتاً في خِطاباتهِ، وفي الإستراتيجيات بعيدة المدى التي روج لها الحزب الشيوعي الصيني. وبالتالي، فهي تُمثّل مرحلة جديدة في الثورة الصينية ، التي أحتفلت مؤخراً بالذكرى الخامسة والسبعين. هذهِ التحولات في التقدم التاريخي للثورة الصينية قد أفضت إلى مُحاولات مُتعددة لوضع نظريات للمراحل الثلاث للثورة. وهُنا قدم كلٌ من شينغ إنفو و يانغ جوان ما أسمياه «نظرية الثورة الثُلاثية». إن مقالهُما هو نتاج لعملية إضفاء الطابع الصيني على الماركسية، وهو مكتوب في المقام الأول لجمهور صيني وللماركسيين في جميع أنحاء العالم الذين يُتابعون تقدُم الثورة الصينية. وبما أن حُجتُهما منطقية وتاريخية في آن واحد، وتُصوّرُ في الوقت نفسه وُجهات نظر بديلة مُتنوّعة، فمن المُتوقع أن تكون مفهومة بسهولة للقارئ الصبور المُنتبه. ومع ذلك، فإننا نُشجّع قُراء مجلة أل Monthly Review الذين يجدون الرحلة شاقة على القفز إلى النهاية، أي إلى الإستنتاج في الجزء الرابع ، لأن هذا يتناول ما يعنيه "إكمال الثورة" حقاً من وجهة نظر هؤلاء المؤلفين. وبعد أن فعلنا ذلك، فسوف يكون من الممكن فحص حجتهما بأكملها من البداية إلى النهاية، مع رؤى جديدة وأعمق لتطور الفكر الماركسي الصيني في الوقت الحاضر بإعتبارهِ تاريخي.

في إطار الماركسية الصينية، أعاد شي جين بينغ تقديم الفكرة التي نشأت مع ماو تسي تونغ، وهي «الدفع بقوة بروح حمل الثورة حتى إكتمالها». يرتكز هذا الموقف على أن «إنجاز الثورة حتى إكتمالها» يُمثل جوهر العقيدة الماركسية، وهو المحور الأساسي الذي يتجلى في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية. وهو في نظر شي جين بينغ مطلبٌ مُلحٌ للحزب الشيوعي الصيني في سعيهِ الحثيث نحو النِضال العظيم.

إن مثل هذا الرأي يطلب منا الإنخراط في الدلالات الغنية ومُتعددة المُستويات للثورة، وبإسلوب إبداعي، في الثورة العلمية والتكنولوجية. ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال الثورة الثُلاثية. أولاً، تأخذ الثورة شكل الإستيلاء على السُلطة، بمعنى الإطاحة بالنظام القديم وتأسيس السُلطة الحاكمة الجديدة، والدفاع عنها. ثانياً، تُجسّد الثورة الإصلاح، بمعنى التحسين الذاتي وتطوير النظام الإشتراكي. ثالثاً، الثورة «ثورة إنتقالية»، بمعنى التحول من المرحلة الأولية للمجتمع الإشتراكي إلى المرحلة اللاحقة، وصولاً إلى المجتمع الشيوعي. نظرية الثورة الثُلاثية المطروحةَ هُنا هي مفهوم شامل يتضمن التعاقب الزمني، والترابط المكاني، وفي مجال المنطق، والسبب والنتيجة التدريجية.

إكمال الثورة

مُنذُ أن دخلت الإشتراكية ذات الصفات الصينية الحقبة الجديدة، أصبح الأمرُ شائعاً بين المُفكرين في الداخل وفي الخارج التقليل عن طريق الخطأ، من شأن الماركسية والإشتراكية والشيوعية، والثورة بل وحتى رفضها، بإعتبارها مرتبطة بالأحزاب الشيوعية التقليدية، مُدعين أن هذهِ المفاهيم تُعدُ «نظرية بالية». في هذا الصدد أكد شي جين بينغ، بِصفتهِ الأمين العام للحزب الشيوعي الصيني، في مُناسبات عديدة على ضرورة «رفع راية الثورة عالياً» في الحقبة الجديدة، وضرورة أن نكون أكثر «شمولية» في دفع الثورة قُدُماً. والأهم من ذلك، أنهُ في 30 ديسمبر/كانون الأول 2016، في خطابهِ في حفل الشاي بمناسبة رأس السنة الجديدة للجنة الوطنية للمؤتمر الإستشاري السياسي للشعب الصيني، حَثَ شي جين بينغ المجتمع بأسرهِ على «المُضي قُدُماً بحماس في روح إنجاز الثورة». وكانت هذهِ المرة الأولى مُنذُ الإصلاح والإنفتاح التي يُعيدُ فيها كبار قادة الحزب والدولة النظر في دعوة الرفيق ماو العظيمة «لإنجاز الثورة»، وهي دعوةٌ صدرت قبل أكثرُ من نصف قرن في خِطاب عام رسمي. مُقِرّاً بأن الثورة لم تُكلل بالنجاح الكامل بعد، وحث الرفيق شي مُستمعيه على إظهار العزيمة والقوة في المُضي قُدُماً نحو النصر الكامل.

في الخامس من يناير/كانون الثاني عام 2018، في حفل إفتتاح ندوة تحفيزية للمؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني، توسع شي جين بينغ في تسليط الضوء على هوية الشيوعيين ودورهم الإجتماعي: «نحنُ ثوريون. لا تدعونا نفقد الروح الثورية.» وفي عشية الذكرى السبعين لتأسيس الصين الجديدة، قام بزيارة خاصة إلى موقع النصب التذكاري الثوري في شيانغشان في بكين، وأكد مُجدداً: «أستمروا وواصلوا الروح الثورية للجيل الأكبر سناً من الثوريين.» وأضاف قائلاً: «من الأفضل أن يكون المرء شجاعاً بما يكفي لمُلاحقة المُعتدين، وليس أن يبيع أسمه ويتعلم من

بقلم: محرر مجلة
Cheng Enfu and
Yang Jun

الحاكم.»وفي نفس الوقت، ظهرت كلمة «ثورة» بشكل مُتكرر في التصريحات العامة التي أدلى بها الأمين العام شي، حيثُ ظهرت أكثر من ألف مرة في خِطاباتهِ المُهمة حول حُكم البلاد في الحِقبة الجديدة. وتشمل العِبارات التي تظهر فيها هذهِ إلى الثورة، «المثل الثوري»، «الثقافة الثورية»، «الإسلوب الثوري»، «المشاعر الثورية»، والنضال الثوري»، و»الغرض الثوري»، و»والإرادة الثورية»، و»الروح القِتالية الثورية»، و «الإنضباط الثوري»، و «التعليم التقليدي الثوري»، و»الثوري الذاتي»، و»والجنود الثوريون في الحِقبة الجديدة»، و»الثورة العسكرية الجديدة»، و»الجولة الجديدة من الثورة العلمية والتكنولوجية»، و»الجولة الجديدة من الثورة الصناعية»، (و»الثورة الصناعية الجديدة»)، و»ثورة إنتاج الطاقة»، و»ثورة الإستهلاك»، و»ثورة العرض»، و»ثورة التكنولوجيا»، و»ثورة النظام»، و»ثورة المراحيض»، وما إلى ذلك. بالطبع، مُجرد إستحضار مُصطلح ليس معرفة حقيقية، لذا لايسعُنا إلا أن نتساءل: إلى جانب الثورات في العلوم والتكنولوجيا والصناعة والشؤون العسكرية، لماذا شدد الأمين العام شي مِراراً وتَكراراً على خِطاب «الثورة» وأصرَ على تطبيقه عملياً؟ ما الذي ينبغي أن تتضمنهُ هذهِ الثورة؟ ما هي المُحاولة لتحليل هذا فيما يلي.

حتمية وعقلانية «المُضي قُدُماً بقوة في الثورة حتى إكتمالها»

أ(. "التقدم بالثورة إلى الأمام حتى إكمالها" ليس أمرٌ مُهمٌ فحسب، بل أنهُ أمرٌ ضروري أيضاً. يقع أساس حتميتها وعقلانيتها في الطبيعة الموضوعية لتطوّر المنطق النظري والمنطق التاريخي والمنطق الواقعي. ومن المنظور النظري، هذهِ هي السِمَة الأساسية للنظرية الماركسية؛ ومن منظور المنطق التاريخي، هذا هو الموضوع الكامل لتاريخ الحركة الشيوعية الدولية؛ ومن منظور المنطق العملي، هذا هو المطلب العاجل للحزب الشيوعي الصيني للأستجابة بشكل فعال للنضال الكبير.

ب(. "إن المُضي بالثورة حتى إكتمالها" يُمثّل جوهر النظرية الماركسية. وعلى النقيض تماماً من الأيديولوجيات البُرجوازية في الماضي، بفكرها المحافظ وإبتذالها وتصلُبُها، الماركسية هي "نظرية الثورة أولاً". إن هذهِ الثورة مُتأصِلة في العملية الكاملة لإنشاء وتطوير وتطبيق النظرية الماركسية. فمن جهةٌ، لم يكن ظهور الماركسية بأي شكل من الأحوال هي مسألة نظرية طائفية سقطت من السماء. الماركسية كانت النتيجة الحتمية للنقد العلمي لنمط الإنتاج الرأسمالي، والأبتكارات الثورية السابقة في العلوم الإجتماعية والإنسانية. واليوم، يَمُرُ العالم بعملية نمو وتطور كبير لانهائي. وعليه فإن الثورة التي تُمثلُها النظرية الماركسية سوف تستمر. لا يزال الماركسيون ينتقدون الرأسمالية المُعاصِرة ومُنخرطون في نِضال ثوري ضد أفكار ونظريات البُرجوازية الغربية، من أجل الإستفادة من كل الإنجازات الإيجابية والمُفيدة للحضارة العالمية، ولإتاحة المجال أمام النظرية الماركسية لمزيد من التطور. في المنظور الماركسي، لاشيء في العالم أبدي أو مُقدس. كُلُ الموجودات تُجسد الحركة المُتناقضة لوحدة الأضداد. إن الثورة والنقد يُشكلان القوة الدافعة التي لا تنضب والمصدر الداخلي لتطور الواقع، وهُما أيضاً جذر الحيوية الأبدية وشباب النظرية الماركسية.

وإذا نظرنا إلى الأمر بطريقةٌ مُختلِفة، فإن الماركسية، وهي تنتقد العالم القديم وتكتشف العالم الجديد، تتطلب الإطاحة بالشروط السابقة من أجل وضع شروط جديدة في المُمارسة العملية، وبالتالي إحداث ثورة في العالم القائم. وهي بذلك تتضمن المعرفة النظرية والعملية لكيفية "تغيير العالم" لتحقيق التَحرر الكامل للبشرية. خِلال حياتهِ، كارل ماركس Karl Marx، كونهِ المؤسس الرئيس للماركسية، يُحظى بالتقدير كمُفكّر، وسياسي، وفيلسوف، وإقتصادي، وأكثر من ذلك بكثير. وفردريك إنجيلز Frederick Engels، الذي شاركهُ أربعون عاماً في الصداقة الثورية، أمتدح عالياً رفيقه القديم، وعلقَ في أحد المرات: "ماركس هو ثوري قبل كُلُ شيء". وفي الإجتماع التذكاري الذي أُقيمَ بمُناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد ماركس، أشار شي جين بينغ إلى أن ماركس كان دائماً في طليعة النِضال الثوري، بدءاً من تأسيس لجنة المُراسلات الشيوعية في مدينة بروكسل، ووصولاً إلى مُشاركتهِ في عِصبة العدالة بصياغة البيان الشيوعي كوثيقة برنامجية للشيوعية العالمية؛ ومن مُشاركتهِ المُباشِرة في الثورات الأوروبية عام 1848 وتأسيس صحيفة «Neue Rheinische Zeitung"، إلى مُشاركته في المؤتمر التأسيسي الدولي الأول للأُممية الأولى وصياغة وثائق مهمة مثل الإعلان التأسيسي والنظام الأساسي المؤقت. لا ينطبق مبدأ "الثورة أولاً" على ماركس فحسب، بل ينطبق أيضاً على إنجلز، وعلى جميع القادة الثوريين البروليتاريين، بمن فيهم لي دينغ و ماو و دنغ شياو بينغ. بإختصار، بما أن «الماركسية في جوهرها نظرية ثورية وبرنامج ثوري»، فإن التخلي عن هذهِ «الروح الثورية» يُضعف النظرية الماركسية برُمتها ويخنُقها، بل ويُفكِكُها تماماً.

الشهيد كمال عدوان .. صورة الثائر في شبابه

الزمن: الثلاثاء ١٠إبريل ١٩٧٣. حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل رنّ جرس الهاتف في منزل القاضي شكيب الجيوسي في البحرين. قام ابنه سليمان بالرد. على الجانب الآخر من الخط سمع صوت شقيقته (أم رامي) تكلّمه من بيروت. سألها: "ماذا هناك؟". ردّت: «دخل أشخاص وقتلوا كمال». تحدّث سليمان بطريقة لا يفهم معها الأب ما الذي حصل، وقال لها: "غداً صباحاً أصل إليك على طائرة الميدل إيست (طيران الشرق الأوسط اللبناني)". في التاسعة صباحاً وصلت والدة السيدة مها وشقيقاتها وشقيقها سليمان قادمين من البحرين، وقبلهم كان شقيقها الأكبر مأمون قد وصل من العاصمة الأردنية عمّان بالسيارة، كما جاء أصدقاء كمال ومحبوه من قطر حيث كان يعمل قبل تفرغه للثورة.

محمد ديتو

تلك كانت لمحة خاطفة من شهادة السيدة مها الجيوسي (أم رامي) زوجة الشهيد كمال عدوان كما روتها للباحث الفلسطيني الدكتور أحمد جميل عزم في مقابلة معه عام 2016، والمنشورة في كتاب "كمال عدوان – رجل في ثورة وثورة في رجل"، (سلسلة ذاكرة فلسطين من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات – بيروت أغسطس – الطبعة الأولى 2024 – 455 صفحة). يتكوّن الكتاب من ستة عشرة فصلاً بدأها في الفصل الأول بقراءة أولية للحظة إغتيال الشهيد كما روتها السيدة مها الجيوسي (أم رامي)، ويختم الكتاب في فصله السادس عشر بتفاصيل ومعلومات إضافية عن عملية الإغتيال كما وردت من مصادر مختلفة، وهو بذلك يقدّم صورة متعددة الأبعاد لتلك الليلة المشئومة من إبريل 1973، والتي اشتهرت بإسم عملية " فردان" نسبة إلى الشارع الذي كان يسكن في إحدى بناياته الشهيد.

تمّ إقتحام شقّة كمال عدوان تلك الليلة وقتله بثمانية وخمسين رصاصة أمام أعين زوجته وأطفاله (تطلّب الأمر سنوات طويلة حتى تخفّ آثار تلك الصدمة على أم رامي والأبناء). إستشهد في العملية أيضاً كمال بطرس ناصر (1924 – 1973) الذي كان مسؤول الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية، وكان يسكن بشقة في الطابق الثالث من البناية نفسها، كما تمّ قتل محمد يوسف النجار (1930 – 1973)، رئيس جهاز الأمن والمعلومات في فتح، ومسؤولها في لبنان الذي كان يسكن في العمارة المقابلة. حقد القتلة على كمال ناجم بالدرجة الأساسية كونه مسؤولاً عن العمل الفدائي في الأراضي المحتلة، وكان يلقب بكمال الغربي. نُفذّت عملية الإغتيال بالتنسيق بين الموساد والجيش الإسرائيلي بقيادة إيهود باراك الذي كانت ينتظر القتلة أسفل البناية متنكراً بملابس نسائية (أصبح في نهاية تسعينيات القرن العشرين رئيسًا لوزراء إسرائيل). قاتل الشهيد كمال عدوان هو الضابط أمتاي نحماني، وقد تمّ قتله بعد انتهاء العملية بسبعة أشهر في حرب أكتوبر 1973، حين كان يقود وحدة تنكرت بزي جنود مصريين.

ما يمكن قوله بداية إن الكتاب يقدّم مساهمة كبيرة في تجسير الفجوة الكبيرة ما بين شهرة الشهيد كمال عدوان (1935 – 1973) ومكانته الكبيرة في ذاكرة النضال الفلسطيني من جانب، وعدم وجود أي توثيق أو مرجع معتمد لسيرته وتجربته النضالية. الكتاب ثمرة بحث استغرق سنوات من الباحث الذي يشغل حالياً منصب أستاذ مشارك في العلاقات الدولية في جامعة قطر، وله سيرة أكاديمية وبحثية مرموقة، كما شغل عضوية المجلسين الوطني والمركزي الفلسطينيين، وترأس لفترة تحرير مجلة «شؤون فلسطينية». بذل الباحث جهداً ملحوظاً في قراءة وتحليل وثائق غير منشورة من رسائل ويوميات ومخطوطات للشهيد كمال وإعتمدها كمصادر أولية، بالإضافة إلى مقابلات عديدة، أهمّها تلك التي قابل فيها 28 شخصاً من عائلته في غزّة والأردن وأصدقائه في فلسطين ولبنان وقطر. ما يلفت النظر والدهشة في نفس الوقت هو أن وثائق الشهيد تشمل أيضاً 12 رواية وقصة قصيرة (غير منشورة) استفاد منها الباحث في تحليل أفكار كمال عدوان، ويورد منها مقتطفات عديدة في كتابه.

بذل الباحث جهداً ملحوظاً في قراءة وتحليل وثائق غير منشورة من رسائل ويوميات ومخطوطات للشهيد كمال وإعتمدها كمصادر أولية، بالإضافة إلى مقابلات عديدة

بالطبع سيصعب علينا استعراض الكتاب القيّم وإيفائه حقه في هذه السطور المتواضعة، لذلك فعندما عنوننا مقالنا بتعبير "صورة الثائر في شبابه" المستوحى من عنوان رواية هنري جيمس الشهيرة: "صورة الفنان في شبابه"، كان قصدنا الإشارة إلى بعض الومضات الموجزة التي جسدت سعي كمال عدوان لنحت وصقل هويته النضالية في حقبة مبكرة، ولكنها شديدة الأهمية في الكفاح الفلسطيني، وهي عقدا الخمسينات والستينات من القرن الماضي. لماذا؟ لأن شباب كمال تزامن مع سنوات البحث المحموم عن إجابة عملية على أسئلة شائكة، تبدأ كلّها بـ "ما العمل؟». ما العمل للخروج من نتائج نكبة 1948؟، ما العمل حيال التشابك المعقد بين القضية الفلسطينية ومصالح الأنظمة الحاكمة في العالم العربي؟، ما العمل تجاه صراع وتناحر الأشقاء أبناء الوطن الواحد، الذين وإن وحدتهم قضية تحرير فلسطين، إلا أن الأيديولوجيات والأطر الحزبية التي انتموا إليها، فرّقتهم وأضعفت تحالفاتهم؟

لا عجب إذن حين خصص الباحث الفصول العشرة من إجمالي ستة عشرة فصلاً لكمال عدوان الشاب حتى منتصف الستينات، بدءاً من ولادة كمال عام 1935 في قرية " بربرة" قرب عسقلان، ثم لجوئه مع عائلته إلى غزّة في 1948، ودراسته في مصر، وعمله اللاحق في السعودية وقطر كمهندس بترول، قبل أن يتفرغ نهائياً للعمل النضالي في أواخر الستينات. تلك كانت المحطات الأساسية في حياة كمال عدوان، وإستعرض الكتاب تفاصيلها لأول مرة. ما يثير الإهتمام على وجه الخصوص الضوء الذي سلّطه الباحث في الفصول السبعة الأولى من الكتاب على تجربة كمال عدوان مع تنظيم الإخوان المسلمين في قطاع غزة آنذاك في فترة حسّاسة اتسمت أيضاً بوجود قوي للحزب الشيوعي الفلسطيني في القطاع بقيادة الشاعر معين بسيسو.

يذكر الباحث أن كمال نشط في أوساط جماعة الإخوان المسلمين

أحمد عزم:
الشهيد كمال عدوان كان المهندس العنيد المعتدّ برأيه ونفسه حتى الحدّة والعصبية أحياناً، رجل الائتلاف الفكري الأهم في الثورة الفلسطينية، القادر على تجاوز الخلافات، جمع حوله في نهاية الستينات، كتّاباً ومفكرين ومثقفين يصعب أن يتفقوا لولا وجود قائد مثل كمال."

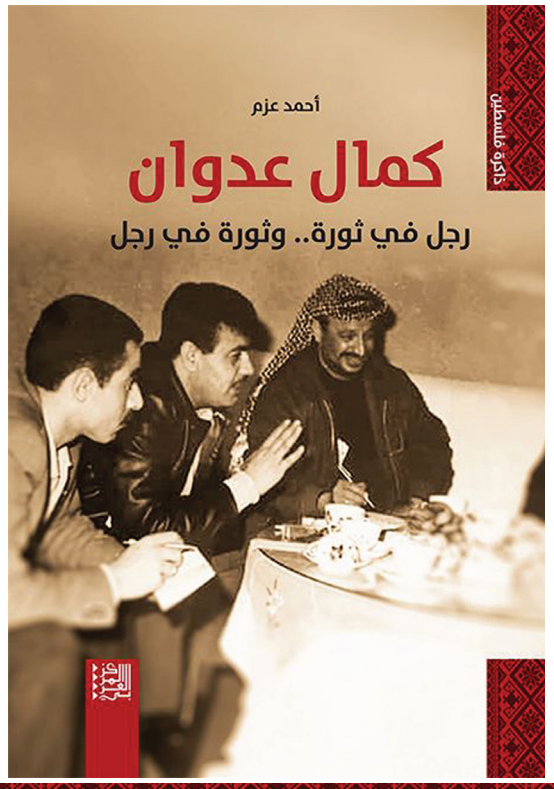

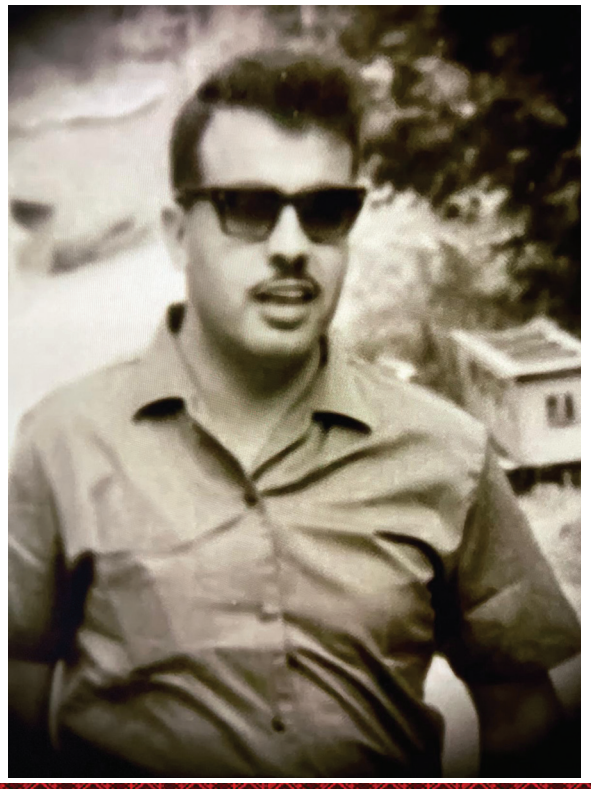

بدءاً من عام 1951 ولمدة ثلاث سنوات، ثم بدأت الخلافات تزداد حدة بينه وبين التنظيم، وحسب تعبير الباحث "حدث صدام إختلط فيه الشخصي مع السياسي والديني".

وأشار الباحث إلى أن "إصطدام كمال مع الإخوان المسلمين كان بسبب محاولتهم تقييد حريته الفكرية، والسياسية، والشخصية".

وصلت الخلافات إلى درب مسدود حين تعرض كمال في 1955 إلى عقاب بالنفي لمدة شهرين من الجماعة بسبب خلاف مجهول التفاصيل، وردّ كمال في رسالة غاضبة وجهها الى مسؤوله كتب فيها: "تأكد أنني أقدّر الشيوعي المخلص لشيوعيته أكثر من المسلم المتخاذل، لأنني أعتبر الأول مفكراً وعاملاً مخلصاً أخطأ السبيل، كما أخطأ الفلاسفة والعظماء من قبل." (ص 112)، وفي رسالة أخرى يواصل حجته: «مهمتنا أن نناقشه في تفكيره وآرائه .. فهو إنسان أراد الخير والإصلاح فضلّت به فلسفته" (ص 113). نلاحظ أيضاً أنّ موقفه من القوميين لا يختلف: " قالو إن القومي شاب لا يعرف ربه .. قلت حرام عليكم فهم أقرب الناس إلينا .. إن إسلامي يقول "أحب لنفسك ما تحب لأخيك" (ص 113).

هذه المواقف تعكس شجاعة نادرة في قول ما يعتقده، كما تُجسد حسّاً سياسياً براغماتياً سيتبلور لاحقاً لدى العديد من قادة «فتح» الذين خرجوا من معطف (الإخوان) في تلك السنين. بالطبع لم يكن كمال عدوان وحيداً في موقفه أعلاه (تجاوز الخلافات الأيديولوجية لصالح الهدف السياسي)، إذ نلاحظ أيضا أنه في نفس العام الذي كتب فيه عدوان رسالته أعلاه، شهدت غزّة انتفاضة كبيرة في مارس 1955 ضد مشروع تهجير وتوطين سكان القطاع إلى سيناء، وقاد تلك الإنتفاضة تحالف مشترك بين الحزب الشيوعي الفلسطيني في غزّة بقيادة سكرتيره العام الشاعر الفلسطيني معين بسيسو مع الإخوان المسلمين في القطاع بقيادة فتحي البلعاوي (الذي سيترك الإخوان لاحقاً وينضمّ الى الأعضاء المؤسسين لحركة فتح). إستطاعت تلك الانتفاضة بزخمها الجماهيري والوحدة الوطنية التي سادت بين قادتها وقف مشروع التهجير المشؤوم آنذاك. تبرز تجربة العمل المشترك النادرة، واليتيمية تاريخياً، بين الشيوعيين والإخوان في غزّة إبان تلك الانتفاضة بأن خصال القادة السياسيين تلعب أحياناً دوراً يتجاوز كثيراً الإطر الأيديولوجية والتنظيمية التي يعملون في ظلها، لأنهم يمتلكون ما يمكن أن نطلق عليه بصيرة سياسية لا تسمح للخلافات الثانوية بأن تطغى وتعمي عن رؤية الهدف الرئيسي.

لخّص الباحث في الفصل التاسع مايراه جوهر "الفكرة الحركية" كما قدّمها كمال في مخطوطاته ومراسلاته مع أصدقائه في الخمسينات ومطلع الستينات.

ترتكز هذه الحركة على ستة مبادئ: أولاً: الأولوية هي العمل من أجل فلسطين، ثانياً: السمو فوق الأيديولوجيات، إذ يمكن أن يجتمع المستقل والشيوعي والإسلامي والقومي ويعملون معاً، وثالثاً: أن يتخلى هؤلاء عن أحزابهم وعن الحزبية، ورابعاً: أن يتوقفوا عن التدخل في شؤون الدول العربية الأخرى، وخامساً أن يؤسسوا تنظيماً مقاتلاً من أدواته العمل العسكري، وسادساً أن يعملوا على إنشاء كيان فلسطيني " جمهورية " تجمع الفلسطينيين وتمثلهم من أجل تحرير وطنهم." (ص 184).

ربما تبدو هذه الأفكار للبعض الآن نوعاً من طوباوية ثورية إلى حد ما، إلا أنها في زمنها كانت جديدة، وذات طابع عملياتي، والأهمّ أنّها ساهمت في تشكيل حركة " فتح" ولاحقاً منظمة التحرير الفلسطينية.

يختم الباحث كتابه واصفا الشهيد: "كان، وهو المهندس العنيد المعتدّ برأيه ونفسه حتى الحدّة والعصبية أحياناً، رجل الائتلاف الفكري الأهم في الثورة الفلسطينية، القادر على تجاوز الخلافات، جمع حوله في نهاية الستينات، كتّاباً ومفكرين ومثقفين يصعب أن يتفقوا لولا وجود قائد مثل كمال."

بعد استشهاد القادة الثلاثة في عملية "فردان"، رثاهم محمود درويش في قصيدته الشهيرة "طوبى لشئ لم يصل"، يقول مطلعها: "هذا هو العرس الفلسطينيّ. لا يصل الحبيب إلى الحبيب.إلاّ شهيداً أو شريداً.» كما قال فيها : "طوبى لشيء غامض. طوبى لشيء لم يصل. فكّوا طلاسمه ومزّقهم. فأرّخت البداية من خطاهم". هناك دلالة عميقة خلف كلمات درويش، فهو يمدح شيئاً لم يصل. هدف لم يتحقق. إنه شرف المحاولة للوصول الى غاية صعبة المنال، بدلاً من الاستسلام للذل والخنوع. كتب درويش: "السفح أكبر من سواعدهم ولكن حاولوا أن يصعدوا، والبحر أبعد من مراحلهم ولكن حاولوا أن يعبروا».

ليلى والدب قيس: النسخة المحدثة من حكاية عشق غير متساوية الأركان

د. زهراء المنصور

«إن ما تراه أمامك ليس إلا سراباً فقط!»

كانت الرسوم الكارتونية في سنوات الثمانينات من القرن الماضي علامات مميزة ومحفوظة، ليس لجودتها وحسب، بل لقلة التنافس؛ فلم تكن أجهزة (الدش) قد دخلت أسطح المنازل حينها، والمواد الموجَّهة للطفل تنتقى بعناية، وتُعاد مراراً، حتى تصبح إشارة لزمن وتوقيت معينيْن. والمسلسل الكارتوني «عدنان ولينا»، بكل تنبُّؤاته التي قيلت، من مقدمة أول حلقة –ومنها قيام الحرب العالمية الثالثة عام 2008!– وحتى النهاية، تحمل في طياتها غموضاً محبباً قابلاً للتأويل والتفسير، وحتى نظرية المؤامرة. فمن كان يتصور أن يتحوّل مشهد الجد رامي وهو يُري حفيدته لينا وصديقيها عدنان وعبسي مشهداً مقارباً لتقنية الواقع الافتراضي أو الهولوجرام التي أتاحت الفرصة لهؤلاء الصغار للانغماس مع الأشخاص الذين ظهروا، حتى اكتشفوا الوهم عبر جملة الجد المذكورة آنفاً. ومن يصدق أنه عمل مرّ عليه ما يقارب السبعة والأربعين عاماً؟

ولأن الفكرة حق مشاع للكتابة والتجسيد؛ قام مؤلف مسرحي عماني برمي الطعم لقارئه عبر جملة في بداية النص، فالتقطها مخرج مسرحي سعودي، وقدّما معاً «ليلى والدب قيس»، عبر عروض مسرحية قصيرة بمركز إثراء في المملكة العربية السعودية. ووجه الشبه بين ما قيل في المقدمة وبين هذا العرض، هو الخيال: خيال الفنان الذي يستطيع استقراء المستقبل كما لو كان يراه بصورة واقعية أمام عينيه، ولهذا صور متعددة لا حصر لها.

والنص المختار؛ هو ضمن مجموعة النصوص المسرحية «هل أكلت قطاً من قبل؟» صدرت للمؤلف أسامة زايد، صاحب الأفكار الملتبسة في المزاوجة بين الواقعية وبين أحداث أخرى قد تدخل في زمان ومكان لا يشبهان وقت وزمان حدث مسرحيته، في شكل أقرب للغرائبية الموترة!؛ بحيث يستدعي ذكاء القارئ في الربط بين هذا وذاك، في ما يريد المؤلف إيصاله كمضمون، وهذا لا يمنع متعة الإبحار في خيال أن يكون الحدث عابراً للواقع، ولا يندمج معه بالضرورة.

وتشبه العروض المسرحية القصيرة؛ النص القصصي القصير، أو ما يطلق عليه (ق.ق.ج). ذات السِّمات التي تتطلب التركيز والكثافة في الحدث والشخصيات؛ بحيث يخرج المتلقي بخلاصة مشبعة بعد العرض القصير، وعبر فهم ما رمى إليه بوضوح، أو أن يرميه لجهة التأويل بالنهايات المفتوحة. فالمفتتح في العنوان الذي لم يقم المخرج بتغييره، دلالة أولية على إعجابه أو اقتناعه بهذا العنوان الملفت، الذي اتخذ من شخصيتي قيس وليلى موضوعاً، ولكن على نحو مغاير يستدعي المقارنة والتفسير. فاقتران الاسمين بالعاشقين التاريخيين صبّ ظلاله على الشخصيتين؛ قيس الشاعر الذي عاش في القرن الأول بعد الهجرة في البادية، وهام بحبّ ليلاه، ولم تكتمل هذه العاطفة بسبب نبذ العرب لأي علاقة حب يكشفها الناس! وقيس الذي هام بليلى حتى سُمِّي مجنونها، بعد أن قال فيها جميل الشعر، وهو منبوذ عند العرب قديماً، حتى أتى ورد بن محمد وتزوج ليلى، فانتهى قيس للموت، وقد تحوّل لـ«معلم شاورما» محترف عند زايد، محب، لكنه كادح، يقلق من الارتباط السريع بسبب الظروف المادية غير المواتية. أما ليلى، المحبوبة الأيقونة، تبدو في دور المُقادة من قبل قيس، أو والدها، أو حتى المجتمع، قد استلمت القيادة في «الدب قيس» على ما يبدو. ورغم ذلك، لا يعني هذا أنهما قد تخلّيا عن ارتباطهما ببعضهما، لكنهما يعيشان بيننا في هذا الوقت، وليلى هي التي تحدد مواصفات قيسها.

وثمة التقاطة مهمة، هي قراءة المخرج موسى أبو عبدالله للجملة التي أعقبها المؤلف بعد عنوان النص «هل في الحداثة شيء لنشك فيها؟»، وهي إشارة استهلالية لفهم النص عبر تأويلات متعددة، قرأها المخرج هنا في شكل الحداثة التكنولوجية التي باتت تتحكم في كل نواحي حياتنا، حتى في ما يتعلق بالمشاعر التي تعجز الأجهزة عن تذوقها بالشكل

الإنساني، مهما كانت متقنة الصنع. منحت الفرصة للبطلة ليلى التي اختارت أن تتحكم في (ميتا)، مارداً لرغباتها في اختيار «قيسها» المناسب. والرؤية الإخراجية هي التي حددت (ميتا) –وهي كلمة يونانية الأصل تعني ما وراء–، وتستخدم الكلمة للإشارة إلى شيء يتجاوز أو يتعدى ما هو مادي أو ملموس، واستعمالاتها الحالية ذهبت إلى مجال الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي، وهذا ما لم يتطرق له المؤلف بالشكل الذي عرض به، بل هو فهم ضمني للمخرج الذي احتفظ –عن قناعة– بنفس عنوان النص الأصلي الملفت، وبمعظم الحوارات التي وردت في النص، لكن من وجهة نظر المخرج الذي هيّأ اللعبة من البداية تحت إدارة (ميتا) حين تخاطبها ليلى بتغييرات تستجاب لها فوراً، منها ما هو متعلق بالسينوغرافيا التي جاءت متسقة مع توجيهات الشخصية، إضاءة/ إنارة/ وتغيير ديكور لتتبدل الحالة والمكان.

عمل النص على بيان التناقض بين الشخصيتين المعاصرتين بالقدر الذي يجرّ السؤال: كيف لنقيض أن يحب نقيضه؟ تستمد ليلى من شخصية ليلى قيس الشاعرية، ولو أنها هنا شاعرية ممطوطة، مقتبسة من مشاهدات وقصص خيالية مقروءة، أحلامها لا تمت بصلة للواقع. فهي تريد الهروب ولا تملك مسوِّغاً حقيقياً واضحاً يمنع زيجتهما، وتتمنى الهروب في عربة محملة بالقش بأيدٍ متشابكة معه، وهما ينظران للنجوم الساطعة في السماء! أو أن يفتعلا مشكلة حتى يسجنا في برج قديم، فتنزله هي من النافذة الصغيرة بشعرها الطويل ليرجع وينقذها على غرار الأميرة الضائعة (رابنزل) بطلة ديزني الكارتونية. أما قيس الذي يتمنى أن «تخف اكتظاظ المعاناة في عقله»، فهو مستمع جيد وحالم أيضاً! لكن حلمه يتلخص في أن تنتهي حبيبته من حديثها المفرط في الرومانسية، حتى يبدآ في التهام الشاورما التي أعدها بنفسه خصيصاً لهذا اللقاء!

واختيار الشاورما بوصفه طعاماً سريعاً، وسعره في متناول أمثال قيس الذين يعملون بوظيفتين وأكثر في سبيل سد الاحتياجات الرئيسية في الحياة، وتبقى أحلامهم النوم في الإجازة فقط، هو معادل موضوعي لمفهوم التناقض بين الشخصيتين، البالغتين في الوهم والمكروبتين في الواقع، وليس الشاورما فقط. بل عندما تزيد ليلى في الإلحاح عليه للارتباط والزواج، يفضي لها أنه لم يأخذ من قيس إلا اسمه؛ فلا هو بدوي، ولا عنده حصان يجوب البيداء به، ولا يجيد الشعر، ويفضل الراب عليه ! وتوظيف فن الراب تحديداً في هذه المواجهة لتوضيح الفارق بين ثقل الشعر الموزون الملتزم بالقافية ومعاني الكلمات، وبين الراب المتحرر من اللحن المتوازن أو الطروب، مع ترديد الكلمات والتلاعب بالألفاظ، وغالباً ما يعبر مغني الراب عن وصف معاناته الشخصية أو معاناة تعبر عن مجتمعه وقسوة الحياة عليهم. وتتفجر مواهب قيس حين نعتته ليلى بـ»الدب» الذي لا هَمّ له إلا الأكل! حتى غنى لها: «معلم شاورما وين أروح؟ هذي الدنيا عطتني جروح/ طبعي شاطر ودايم جوعان/ خربت الدايت مو ندمان/ مغرم ليلى أنا عاشق حزين/ قطت علي وقالت متين/ شعوري ثقيل أبد ما هو عابر/ والله أحبها وماقدر أكابر/ أنا عاشق ليلى أنا مغرم ليلى/ حيران طول ليلي سهران/ ترى أنا إنسان وعندي قلب وضمير/ مجروح وصوتي أنا مبحوح/ خايف حبيبي يروح/ وأبقي بهالدنيا وحيد».

قد لا تكون الأغنية التي أداها قيس أغنية راب كما ينبغي، لكنها صادقة من عمق معاناته، والأهم أنها لاقت تجاوباً جماهيرياً ملفتاً لأداء الفنان البحريني عقيل الماجد الذي يطور أداءه في كل عرض مسرحي، بذكاء يلتف على وزنه الزائد –والذي وُظف هنا بطريقة صحيحة–، عدا أنه يشغل كل طاقاته في سبيل خلق روح من الشخصية التي يجسدها، واهتمامه بالتفاصيل، والإخلاص لها يجعل قبوله الجماهيري أكثر، حتى عند متلقين جدد لا يعرفون مهاراته –وقد شهدتها بنفسي مرتين على الأقل–، وهذه المهارة تمكنه من تنوع أدواره دون نمطية في الأداء.

وعلى نحو موازٍ؛ يتحقق اقتراح الباحث والمؤرخ المصري د. سيد علي إسماعيل في ورقة عن «المسرح السعودي بين التخصص والخصوصية» عن حل معضلة مشاركة المرأة في المسرح السعودي –قبل مرحلة الانفتاح الحالية– في أن تأخذ دورها المطلوب في إقامة مهرجان الخليج المسرحي التابع للجنة الدائمة للفرق الأهلية المسرحية، والذي يقام كل سنتين في دولة خليجية، حتى تكون هناك مشاركة طبيعية للمرأة السعودية في مختلف الفعاليات والأنشطة المرتبطة بالمسرح، حتى تأتي الأمور بشكل طبيعي لاحقاً. وهذا الاقتراح في البحث المذكور كان يعد ضرباً من الخيال وقتها، لكن الأقدار وهبت أكثر مما كان الطموح، وشاهد المتلقي السعودي والخليجي العنصر النسائي السعودي على الخشبة وخارجها. ومن نتاج هذه العناصر: الممثلة إلهام علوي التي تبدو في أحسن أحوالها مقارنة بما فات، عدا أنه عنصر مطلوب ومرغوب ليكون المسرح السعودي في كامل صحته بأبنائه وبناته المتخصصين في المسرح ومحبيه.

وعودة إلى تمازج النص بالعرض، يختار المؤلف أن يتخلى قيس عن ليلى بعد أن ضاق بها ذرعاً، وتعيش هي الندم والبؤس، بينما يرى المخرج أن يُفعِّل (ميتا) أكثر حسب فهمه الذي أضاف للنص قيمة، عبر استغلال الرؤية المتقدمة للوضع، وأن شعور الندم يمكن تعويضه عبر اختيار قيس جديد بمواصفات دقيقة كما ينبغي، لتبدأ قصة حب جديدة كلما احتاجت للتغيير. لكنه، كما قال جد لينا المذعورة من التقنيات المتقدمة جداً على وقتها: «سراب»!

هوامش

1- زايد، أسامة، هل أكلت قطاً من قبل؟ الهيئة العربية للمسرح، مؤسسة اللبان للنشر،2023م، ص39.

2 – الجمعان، سامي، في المسرح السعودي دراسات نقدية، جامعة الملك سعود، وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، برنامج كراسي البحث، سلسلة مختارات الأدب السعودي، ص300.

زياد الرحباني... شاعر سرقته الموسيقى

د.بروين حبيب

يحدث في لبنان أن يصف شخص شخصا آخر يفعل الشيء دون مقدمات، بجملة «سَعيدَة يابا، ودَعْوِسْ»، أو يتهكم شخص على بلادة آخر قائلا «ابنِكْ ذكي يا ثريّا»، وحين يتصل شخص كاذب الوعود والمواعيد فالوصف جاهز «تلفن عياش». هذه العبارات وكثير غيرها، مما أصبح من نسيج اللهجة اللبنانية ويجري على الألسنة كالأقوال المأثورة مستمد من مسرحيات زياد الرحباني، وكلمات أغانيه. فلا يوجد – بشهادة خصوم زياد قبل محبيه – من أثّر في جيل الحرب اللبنانية وما بعدها مثله، بل غالى في حبه المعجبون فوصفوا أعماله بالنبوءات، وهي التي صحت توقّعاتها مرارا مثلما حدث مع مسرحية «نزل السرور»، التي ألفها وأخرجها عام ١٩٧٤ ورسمت مشاهد من الحرب الأهلية في لبنان قبل اندلاعها بسنة.

ولعل موهبة زياد الاستثنائية في كتابة الأغاني والموسيقى والمسرح رسّخت صفة العبقرية التي أُطلقت عليه، فحتى والدته السيدة فيروز وصفته بها حين سُئلت عنه، فأجابت بذوق الفنانة وإحساسها، إن «زياد عبقريّة فنيّة، أخذت ملامحها من رأيه بالحياة والإنسان والوطن والشعب».

استعمل زياد الرحباني هذه اللغة الفجة أحيانا، والواقعية جدا في مقابل اللغة الحالمة والوردية، التي كتب بها والده وعمه (الأخوان رحباني) فأنزل والدته من سفارتها بين النجوم لتأكل الطعام وتمشي في الأسواق، وتحولت المرأة الملائكية التي صاحبت القمر من صغرها، وكتبت اسم حبيبها على الحور العتيق، إلى سيدة عادية تمارس النميمة النسائية (ولُو شو بِشْعا مَرْتو) في أغنية «ع هدير البوسطة»، وبعد أن كانت فيروز مستعدة لتكون ظلا لحبيبها مع عاصي ومنصور، أصبحت لا تتواني أن تصف هذا الحبيب بالكذب مع ابنها زياد (كذّاب مِش كذّاب/ رد الباب هلأ بس). وكم كان صعبا أن يتقبل الجمهور الفيروزي النخبوي هذا الانقلاب الأبيض، الذي قام به الابن المتمرد المشاكس على إرث والده وعمه، بل كم كان صعبا على فيروز نفسها أن تخرج عن الدروب المعبّدة فنيا، التي سارت فيها من قبل ولادة ابنها زياد لتتبعه في مسالك وعرة ومجهولة، لولا حس المغامرة وحب التجديد عندها، وحسنا فعلتْ فلو بقيتْ في منطقة الراحة والأمان لما سمعنا «كيفك أنت» ـ وقد ترددت فيروز سنوات قبل أن توافق على غنائها ـ ولا «كبيرة المزحة هاي» و«زعلي طوّل» و«ما شاورت حالي» وكثير غيرها طبع مسيرة الفنانة الكبيرة بعد انفصالها عن المؤسسة الرحبانية الرسمية.

سرعان ما خرج زياد من عباءة الأخوين رحباني وأخيهما الأصغر إلياس، فمسرحيته الأولى «سهرية» وقد عرضها سنة 1973 وهو في السابعة عشرة من عمره، كانت امتدادا وتقليدا موفقا لمسرحيات عاصي ومنصور، ولكن بعد سنة واحدة اجترح لغته الخاصة. وبعد ذلك خطه الموسيقي وتوليفته اللحنية المطعّمة بالجاز في ما عرف في ما بعد بالجاز الشرقي. علما أن أغلب أغانيه هو من كتب كلماتها، سواء تلك التي غناها رفيق دربه وتوأمه الفني جوزيف صقر، أو تلك التي غنتها السيدة فيروز بعد ذلك.

ولغة زياد الرحباني المختلفة الصادمة أحيانا والذكية في جُمَلها، تخفي في زوايا تراكيبها شاعرا كبيرا، لولا أن الموسيقى والمسرح سرقاه، وأصبح متداولا على نطاق كبير، خاصة بعد وفاته في الأيام القليلة الماضية، وكثرةِ الكتابات عنه أنه بدأ شاعرا، أو الأصح أن والده أراد له أن يكون شاعرا، ويروي مروان نجار أن عاصي الرحباني طلب منه أن يعلم زياد أوزان الشعر، وقد علّق نجار على

ذلك قائلا «ملًّا كارثة حدا يجرّب يعلّم زياد»، ولا أعتقد أن طبيعة زياد المتمردة تقبل بقيود العروض التي اشتكى منها حتى بدوي الجبل الشاعر الكلاسيكي الكبير فقال: أنا أبكي لكلّ قيد فأبكي... لقريضي تغلّه الأوزان، ولكن الوالد كان مقتنعا بموهبة ابنه الشعرية، مثلما كان مقتنعا بموهبته الموسيقية فجلب له من صغره من يعلمه عزف البيانو، وحين قرأ عاصي الرحباني بعض النصوص التي كتبها ابنه وهو لم يجاوز الثانية عشرة من عمره، جمعها وقصد أحد المطابع لنشرها على نفقته الخاصة، وقد صدرت هذه المجموعة بعنوان «صديقي الله» سنة 1971 وزياد في الخامسة عشرة من عمره، علما أنه كتب قصائدها ما بين سنتي 1967 و1968 كما جاء في مدخل المجموعة، وقد ورد فيها أن زياد الرحباني يتابع دروسه في مدرسة الجمهور، وفي هذا الديوان المكون من 49 نصا دون عناوين، تتجلى بذرة موهبة شعرية واعدة ليست إلى درجة ما كتب بعضهم بمبالغة «لو كتب زياد ديوانا آخر بعد «صديقي الله»»، لأزاح أسماء كثيرة من واجهة المشهد الشعري، لأنه بدأ من حيث يجب أن يصل الشعراء، لا من حيث نجدهم يبدؤون، فلا بد من إنصافه بوصف (تجربته) واحدة من أكثر التجارب النثرية صدقا وتفوقا في بيروت الستينيات»، بل أجد في بعض النصوص سذاجة طفولية واضحة، وفي بعضها الآخر تأثرا بما قرأه في المدرسة أو سمعه في بيت كان الشعر والموسيقى خبزه اليومي، كتأثره بقصيدة ميخائيل نعيمة الشهيرة «اعصفي يا رياح.. وانتحب يا شجر/ واسبحي يا غيوم.. واهطلي بالمطر/ واقصفي يا رعود.. لست أخشى خطر/ سقف بيتي حديد.. ركن بيتي حجر»، فكتب زياد «متى عدت إلى بيتي/ فأمطري يا سماء/ لن يتبلّل ثوبي الأحمر/ متى عدت إلى بيتي/ فاغضبي يا رعود/ متى سكّرت الباب/ وقفلته مرّتين/ فصرّخي يا ريح أمام الأبواب/ أنا في الداخل/ والباب موصد/ والنار مشتعلة/ فيا شتاء أقبل».

وإن كان في المجموعة وعي يفوق إدراك ابن الأعوام الإثني عشر حين يكتب مثلا عن أثر الحرب على الأطفال فنقرأ هذا النص الجميل: «أتيتُ الأولادَ المشردين بالأوراق/ وسألتُهم أن يرسموا أشجارا/ فرسموا أغصانا طويلة فارغة نائمة على الأرض وعليها مدفعٌ وعسكر/ فقلتُ: لا، إلاّ هذا ارسموا زهرا وبيتا/ فرسموا زهورا ملقاة في مياه المطر والعسكرُ يدوسُها/ وقلتُ: لا، إلا هذا ارسموا عصفورا يغني كما كنتم ترسمون مِن قَبل/ فرسموا عصفورا يبكي والمطرُ يهطل/ فسكتُّ وأخذتُ الأوراق وذهبت»، كما نجد بعض المقاطع اللماحة أشبه بقصيدة الومضة تبشر بولادة شاعر كبير «تعبتُ فجلستُ/ ومرّتْ بي فتاة وقالت/ ما بك تجلس على الوقت»، أو كقوله «لا يوجد فستان بشع/ ما دام لكل فستان واحدة تحب أن ترتديه». ولكن بعد هذه المجموعة الشعرية أعرض زياد عن الشعر باللغة العربية الفصحى، واقتصر على المحكية اللبنانية، وإن كان أغلب ما كتبه تحوّل إلى أغان حفظتها الذاكرة وترنمت بها الألسنة.

وقبل أعوام واظب على نشر بعض ما يكتبه من شعر محكي في إحدى الجرائد اللبنانية التي كان يكتب بها أسبوعيا. ولعل الذي صرف زياد الرحباني عن مواصلة الكتابة بالفصحى أنه وجد الشعر الفصيح نخبويا، يحتاج قارئا متذوقا وخاصا، في حين أن المحكية ابنة الحواري الضيقة والأسواق المكتظة والناس الغلابى، الذين انتصر لهم زياد دائما، لذلك نجده في مسرحية «بالنسبة لبكرا...شو؟» التي عرضت سنة 1978 يصوّر الشاعر يعيش في برج عاجي يتحدث بما لا يفهمه الآخرون، كهذا المقطع الذي أجراه زياد على لسان الشاعر المثقف «متعاقب أنا في أصل الصورة/ عاهدت اللوز والأشياء الأخر/ بأنّني غدا على قروميدك المهزلة/ سأمتطي... أمتطي...أين أمتطي؟/ متعاقب أنا فيكِ يا أينك/ يا أينك من أصل الصورة/ تسكنني اللامركزية/ ساورتني شكوك الصوف/ وكان هيلاسيلاسي جاثما عند باب المستودع/ اخلع عنك هذه البلابل المشبوهة/ فإنّ اللون السابع بعد الألف أرجواني»، وحين يسأله العامل في المطعم عن معنى ما يقول، يجيبه الشاعر بفوقية، أن هذا الشعر يفوق مستوى العامل ولا يمكن أن يفهمه الجميع. وهذه الصورة التي رسمها زياد للشعراء والمقصود بهم الشعراء الذين أوغلوا في الحداثة، اعترض عليها الشاعر زاهي وهبي في مقال له فكتب: «زياد الرحباني قدّم نموذجا لشاعر يردّد كلاما مبهما بوصفه شعرا حديثا على شاكلة: هوت سنونوّتي على الرماد/ تناثرت صورا وأوراقَ اعتماد».

وللإنصاف إن مقدرة زياد الرحباني اللغوية وحساسيته الفنية الفائقة كانتا تؤهلانه ليكون شاعرا ذا بصمة خاصة، لو أخلص للشعر إخلاصه للمسرح والموسيقى. ولكن (الحلو ما يكملش)، وحسبه أنه طبق حرفيا نصيحة سعيد عقل، التي غنتها أم زياد يوما وكأنها توصي ابنها: «علّمتني حلوة الحلوين/ انْ فلّيت إترك عطر بهالكون».

مُتّ كما شئت شامخًا

شعر:
عبدالوهاب أبو زيد

سقط الشطوطُ والفرسْ
حينما أخرسوا أنسْ
حينما أطلقوا الرصاصَ
فما صعّدَ النَّفسْ
صادحًا كان بالحقيقةِ
ما انتابه الخرسْ
فاضحًا سطوةَ الظلامِ
بما فيه من قبسْ
فهو من أشعل الشموعَ
ومن علّق الجرسْ
ضاربًا موعدًا مع الموتِ
إن قام أو جلسْ
وكأني به يقولُ
وقد غاله الرَّجسْ:
مُتّ كما شئتَ شامخًا
ربِحَ البيعُ يا أنسْ!

روح زياد .. في مدينة اسمها مسقط

حمد الصبحي

هل هناك غير زياد في الجرح، والسخرية، والضحكة السوداء؟
ونسأل: من أي رحم وُلد زياد؟
الإجابة تقول؛ بأن لبنان هي إمتداد لولادة هذا الحزن الطويل، وكونها راية الجرح، خُلق زياد من هذه الكوميديا السوداء التي صعد بها إلى المسرح، لتفيض عن الشارع، ومسرح الحياة وترسم ملامح النقد ليكون قهوة الصباح، لكنه بجرعة أمل، «أيه فيه أمل!».

كيف وصل زياد إلى مسقط، كيف وصل إلى جرح ليلنا، وصل كما وصل الشيخ إمام وقصائد مظفر النواب المهربة عبر الكاسيت، كنا نتداولها كحشيشة، وعندما نسمع: «هي بلد/لا مش بلد/ هي قرطة عالم»، نعيش حالة نشوة، كأنه يعبر عنا، يخاطب العالم عن حالتنا المكسورة، ويتشابك أسلوبه عند الشيخ إمام في السخرية وهو يغني، ونمضي نحن نردد ونقلد سخرية زياد كما كان يفعل معلم الليل بدر النعماني الذي تمرد على الألوان وثار على حياته.

زياد ابن اللحظة، ابن الشارع، ابن الموقف، لأنه خرج مبكراً من عائلته، من قمرها، من بستانها، من قريتها، من الطفولة ومرحها، من نبعها، كل هذه التفاصيل المزهرة في مخيلتنا، لدرجة الصباح العربي لا يطاق من دون فيروز وثنائيها في القصيدة واللحن، الذين ارتبطا في ذاكرتنا ب»الأخوين»، كرسوا تراثهم في مخيلتنا في زمن مبكر عندما أستيقظنا في بلادنا السمراء بلا أغنية.

زياد يغني الألم الخاص ويدفعه للعام، يحترق من الداخل لكنه يسكبه في الخارج، يجمع دموع الشارع في أغنيته التي أخذت مساراً آخر، في النص واللحن، وهذا ما جعله خالدا في دم المعذبين، دم المقهورين، دم البسطاء، دم الفقراء، دم العمال، دم المجروحين، دم الناس البسطاء، حتى في «سألوني الناس» التي قدمها لأمه فيروز، نلمس الفقد، لكن بأسلوب لم يصدم الجمهور، كما حدث في ما قدمه لاحقاً لفيروز عندما صدم جمهورها واعتبروه في مجمل ما قدمه هدم معبد الأخوين وبينهما قديّسة الغناء فيروز.

نستمع إلى زياد في أوقات ألمنا، قهرنا، احباطنا، غليان دمنا، إذا ارتفع السكر والكوليسترول، وفي حالة الصداع من البلاد، نسمعه في التيه والتشظي، في جحيم السؤال، نحبه أكثر في الليل، حين ينزف في علبه البارده وعدم مقدرتنا في دفع الفواتير، نسمعه وهذا ما تندر في صباح يقظ وجميل، حالماً ما نفيق على التفكير في الفواتير الشهرية وكأنها طقسنا اليومي.

حدث مرة كنت في تاكسي المدينة مع صديق لي، طلبنا منه أن يضع كاسيت زياد لنستمع إليه لحظة السحق، فكانت أغنية «أنا مش كافر»، صرخ صاحب التاكسي في وجهنا، وقال؛ «إيش هذه السفالة» يقصدنا نحن، وغضب منا، وطلب بأن أن نذهب إلى الصلاة، كان الوقت مغربية مسقط الثملة ب»الساعة السعيدة» في معجم الإنجليز.

زياد كان ظلنا في مدينة مسقط عندما تتكسر في دواخلنا وتغضب وتتعرى من الحب.

أحببنا زياد في تمرده، في كسره للمألوف، في نقده، في موقفه، في صراحته حتى أصبح صديقنا، كما هو ولد ليكون صديق الله في الشعر، زياد لا يقدم أغنيته للزينة، بل يقدم الندبة. يعرّي القبح، يشرح الخراب، صحيح زياد خرج من ظل فيروز ووهج الرحابنة، لكنه قال: «كل شي كذب»، ولأن كل شيء لحافة الانهيار، كان زياد. وكان صديقنا الدائم بالخسارة: «ما رح يرجع اللي راح... وما في شي جايي غير الأسوأ»، وأخيراً «مش غلط نحلم... بس ما تغمّض عيونك كتير». لأن البلاد غابة، والناجون قلة.

نبيل سليمان في «ليل العالم»:

حكـــايـــة المـــأســـاة الســـوريـــة

هي رواية للكاتب السوري نبيل سليمان تقع في ٤٦١ صفحة، تدور أحداثها حول ما عاشته سوريا منذ العام ٢٠١١، وما أطلق عليه "الثورة السورية" وما رافقها من قتل وتنكيل وتدمير من قبل النظام السوري والمعارضة المسلحة. على لسان بطلي الرواية منيب حسين الخلف، المثقف ومدّرس اللغة العربية وهفاف حبيبته، يشعرنا المؤلف بأسلوبه الشيق بأن كلا الطرفين؛ النظام والمعارضة على حدٍ سواء ارتكبا بحقّ الشعب السوري جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وضد الطبيعة البشرية .النظام بقصفه بالبراميل المتفجرة وبالطيران والأرض المحروقة والمعارضة بقطع الرؤوس والتدمير الممنهج للنسيج الوطني باسم الإسلام وفرض الشريعة كما يتصورونها قبل ١٤٠٠ سنة .

حميد الملا

بسبب تلك الأفكار الإسلاموية الدخيلة تناسلت تلك الجماعات وأصبحت كل واحدة تحارب الأخرى باسم الإسلام، فظهرت عدة فصائل: "النصرة"، "أحرار الشام"، "جند الإسلام"، "داعش"، "غرباء الشام" "أنصار الشريعة"، "كتائب الفاروق"، "صقور الشام"، "جماعة الأنصار"، "الطليعة المقاتلة"، "لواء العباس"، "جيش القادسية"، "جند العزيز"، "عاصفة الشمال"، "أبناء الشام"، "الإخوان المسلمين"، إلى جانب الجيش الحر .ومقاتلو هذه "الفصائل" جميعاً متشابهون: لحاهم، نظراتهم، عمائمهم، حتى وحشيتهم وفنون قتلهم للأبرياء والمختلفين معهم في الرأي أو العقيدة .

تبدأ أحداث الرواية من مدينة الرقة وخنق هفاف المتمردة على هذه الحركات المتعصبة "جزاء على ما عدّوه مروقها"، " المرأة عورة، ليس للمرأة أن تزغرد أو تنوح، قتلوها بسببي أنا وابني باسيل وزوجته ميرا بسببنا نـحن المسيحيين .

بتوافد هذه المنظمات المتوحشة من جميع أصقاع العالم أصبح العيش مستحيلاً، فقد فرضوا رؤيتهم على الشعب السوري بالحديد والنار، فرضوا على النساء النقاب والعباءة الفضفاضة والقفازات وأضافوا من الممنوعات ما أنزل الله بها من سلطان. "الكعب العالي حرام. الكعب العالي يجعل قفاك يبدو أكبر مما هو عليه ويرجرجه. المناكير حرام. المناكير يمنع الماء عن الأظافر في الوضوء". حتى البنطلون حرام، وكل لباس ضيّق حرام، الأغاني والأفلام والمباريات.

دوريات الحسبة تجوب الشوارع، تتصيد المخالفين لتعاليم الشريعة كما يدعون "تحجبي قبل أن تنظري من نافذة أو من الشرفة، أنت تثيرين الشهوات، بالإبتسامة"، ويزينون للمرأة لبس النقاب ويدغدغون عواطفها بشعارات مثل "مثل اللؤلؤة في احتشامك". الجلد في الطرقات، "جلدوا المصوّر أمام المتحف، التصوير حرام، سجن النساء من قبل المسلحين "جزاء من لا تتنقب». على المتاجر أن تغلق قبل عشر دقائق قبل النداء بالصلاة والتوجه إلى المسجد "وُمن وجد أثناء الصلاة فاتحاً متجره أو خارج المسجد في الطرقات فإن متجره سوف يغلق ويُطلب للمساءلة الشرعية وستتم المحاسبة". يأمرون بعدم الاختلاط بين الطلاب والطالبات من قبل رجال الحسبة، فابتدعوا أسماء لهذه الكتائب، مثل كتيبة الخنساء وغيرها من الأسماء بهدف ترويع الناس وإذلالهم باسم الدين والشريعة .

يسلط الكاتب أيضا الضوء على ممارسات الحزب الحاكم، حزب البعث في علاقته مع المواطنين السوريين في مجال التوظيف، والفساد المستشري والمحسوبية: "الرفيق محسن لا يخفي علويته ولا رعايته لمن في الرقّة من العلويين. ومن ثم يعرج على علاقة الحزب ببقية الأحزاب والمنظمات: "منيب ليس معادياً ولا في حزب آخر، ولكن لن يكون في حزبنا. ما التقيناه مرة إلا وفلقني: ما من طريق عربي إلى الاشتراكية، ولا من تطبيق عربي للاشتراكية. إما الاشتراكية العلمية أو لا اشتراكية"، وكلّ من ينتسب إلى اتحاد الطلبة يُعطى مهمة التجسس على باقي زملاؤه: "يريدون الواحدة منا أن تتجسس على زميلاتها وعليكم يا أستاذ . قرفت يا أستاذ. ما عدت أريد هذا الاتحاد حتى لو...". وللمدرسين دور، مطلوب منهم أن يجمعوا المعلومات للمخابرات وما يسمونه بالمسح السياسي، يقول منيب: "لستُ أهلاً لهذه المهمة الوطنية. ابحثوا عن غيري".

يسترسل الكاتب شارحاً كيف أن الشيوعيين يعتقلون ويعذبون على الرغم من وجود وزير لهم في الحكومة وهم حلفاء للنظام فما بالك بالأحزاب المعارضة ؟، وعن الجيش العقائدي، هذا المسمى الذي لم ينتج شيئاً إلاّ الإستئثار بالسلطة، وهنا يتسائل الكاتب "أين صارت القنيطرة ؟ أين هو الجولان؟"، ليقول هذا حزب لا أمل منه .

يتناول الكاتب تاريخ مدينة الرقة والتحولات التي شهدتها أثناء غيابه عنها مع التركيز على الأحداث السياسية وتأثيرها على المواطنين والصراع بين التيارات الفكرية المختلفة: القوميين، الشيوعيين، الإسلامويين وغيرهم، وعلاقة كل ذلك مع بطل الرواية منيب حيث يعيش بين مختلف هذه التيارات محاولاً التكيّف مع هذا الواقع المتغيّر والمعقد حيث يشعر بالضغط من انتشار المنظمات الإسلامية المتشددة.

"ليل العالم" عمل أدبي بأسلوب غني وعميق وبسرد يتراوح بين الواقعية والتأمل الفلسفي، استطاع الكاتب عبرهما أن يعكس تحولات المجتمع السوري سياسياً واجتماعياً، في فترة مصيرية من تاريخ سوريا، انفجرت فيها التراكمات بشكل دموي.

صنع الله إبراهيم دمج بين الإبداع الأدبي والموقف السياسي

فقدت الساحة الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربي الروائي الكبير صنع الله إبراهيم، الذي انخرط منذ شبابه في النشاط السياسي اليساري، وانضمّ إلى الحركة الشيوعية المصرية، ما أدّى إلى اعتقاله لسنوات في عهد الرئيس جمال عبد الناصر. وتركت هذه التجربة أثرًا عميقًا في حياته وأدبه، وظهرت بجلاء في روايته الأولى «تلك الرائحة» الصادرة في العام 1966، وتناول فيها تجربة السجن وما بعدها، بأسلوب واقعي جريء.

وتعاقب بعدها إصدار صنع الله لرواياته، ومن بينها: «اللجنة» الناقدة للفساد، «بيروت بيروت» التي تدور أحداثها حول الحرب الأهلية اللبنانية من منظور مثقف مصري، "ذات" التي رصد فيها التحولات المصرية منذ السبعينيات وحتى التسعينيات، "شرف" وتناول فيها قضايا السجون، السلطة، والعنف، عبر شخصية سجين اسمه شرف، "العمامة والقبعة"، وفيها عاد إلى عصر الحملة الفرنسية على مصر برؤية موازية للحاض، و"الجليد" التي تناول فيها التحولات في روسيا، التي درس السينما فيها، و"وردة" التي تدور حول الثورة المسلحة في ظفار، "أمريكانلي" التي يمكن أن تقرأ "أمري كان لي" وتسجل تجربة أستاذ تاريخ مصري في جامعة أميركية.

صنع الله إبراهيم رائد الرواية التوثيقية العربية، وقد ترك أثرًا بالغًا في أجيال من الكُتّاب الشباب الذين رأوا في تجربته مثالاً على التزام المثقف بقضايا مجتمعه دون

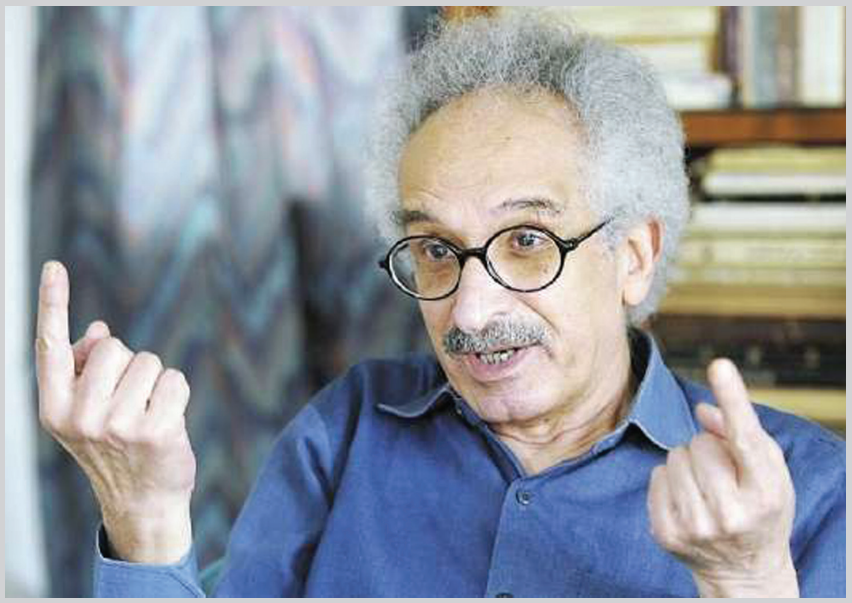

التخلي عن المغامرة الفنية، حيث يتسم مشروعه بالتوثيق داخل السرد الروائي، فيوظف الأخبار الصحفية، الوثائق الرسمية، والإحصاءات داخل النص، كما تجلى في رواياته "اللجنة" و"ذات" و"العمامة والقبعة"، ومن هذا التداخل بين الوثيقة والخيال الروائي يخلق صنع الله نصًا متشابكًا يربط الخاص بالعام، كاسراً الشكل التقليدي للرواية، عبر تعدّد الأصوات، وإدخال النصوص غير الأدبية، ومراوحة السرد بين الذاتي والجمعي، وتبدو رواياته أشبه بمساءلة للسلطة والمجتمع، ففي رواية "اللجنة" قدّم نقدًا ساخرًا لبيروقراطية الدولة، وفي "ذات" كشف التحولات الاقتصادية والاجتماعية عبر حياة امرأة عادية في ظل الانفتاح الاقتصاد، كما تظهر هذه الروايات إنحيازه للمهمّشين، فأبطاله غالبًا من البسطاء، ومن خلالهم يكشف التفاوتات الطبقية والاقتصادية.

لا ينفصل أدب صنع الله إبراهيم عن مواقفه السياسية، هو الذي ظلّ وفيًا لقضايا الحرية والديمقراطية، وناقدًا لخيارات الانفتاح الاقتصادي والفساد السياسي، فكان مضمون رواياته متسقاً مع مواقفه السياسية الشجاعة، منحازاً إلى الحقيقة مهما كانت مُرّة، ومهما كان ثمن هذا الانحياز مكلفاً، وسجل التاريخ الادبي رفضه لجائزة الدولة التقديرية للرواية في العام 2003، لأنّه رأى أنّ قبوله لها ينطوي على تناقض مع مواقفه السياسية المعلنة، رغم معرفته بأنّ اللجنة التي رشحته لنيل الجائزة تضم في عضويتها عدداً من أبرز وألمع النقاد العرب، في طليعتهم أستاذه ورفيقه في السجن محمود أمين العالم.

في كلمته قال صنع الله إبراهيم وهو يتحدث عن اختياره لنيل الجائزة، "إنّ هذا الاختيار يثبت أن العمل الجاد المثابر يجد التقدير المناسب دون ما حاجة إلى علاقات عامة أو تنازلات مبدئية أو مداهنة للمؤسسة الرسمية التي حرصتُ دائماً على الابتعاد عنها". وقال أيضاً: "إنّه قدر الكاتب العربي، فليس بوسعه أن يتجاهل ما يجري من حوله، وأن يغضّ الطرف عن المهانة التي تتعرض لها الأمة من المحيط إلى الخليج، عن القهر والفساد، عن العربدة الإسرائيلية والاحتلال الأمريكي، والتواطؤ المزري في كل ما يحدث".

لو أنّ صنع الله قبل الجائزة، لما كان هناك لغط كبير سيثار. سيقال إنّه يستحقّها وسينتهي الأمر. لكن رفضه لها خلق حدثاً ثقافياً أعاد إلى الواجهة النقاش العميق، غير الجديد، عن العلاقة المعقدة الملتبسة بين الأدب والسياسة، وتقدّم سيرة وأدب صنع الله إبراهيم نموذجاً للمثقف العضوي الذي دمج بين إبداعه الأدبي وموقفه الفكري والسياسي، لذلك سيظل اسمه حاضرًا بقوّة في تاريخ الرواية العربية الحديثة، ليس لإبداعه المتميّز، ولكونه رمزاً للكتابة الجريئة فقط، وإنما أيضاً بسبب اتساق ما يفعله مع ما يكتبه ويقوله.

صنع الله في المنبر التقدمي

في ديسمبر 2003 زار صنع الله إبراهيم البحرين بدعوة من مركز الشيخ إبراهيم آل خليفة للثقافة، وجاءت الزيارة بعد رفضه تسلم جائزة الرواية العربية، حيث قدّم محاضرة في المركز حول دور المثقف في المجتمع، وخلال تلك الزيارة استضافه المنبر التقدمي بمقرّه القديم في الزنج، في لقاء مفتوح مع الجمهور، وبعد أن عبّر عن سعادته بأن يكون في مقر التقدمي، تحدث في اللقاء حول قضايا ثقافية وسياسية مختلفة، وأجاب على أسئلة الحضور الذين تفاعلوا مع طرحه، وأبدوا اهتماماً كبيراً بتجربته الأدبية والسياسية، وجرى التوقف أمام روايته "وردة" بالذات وحول الشخصية الرئيسية فيها، كون أحداثها تدور حول تجربة الثورة العمانية.

مهرجان في بوليفيا ينتصر للأرض الأم

تحتفل الشعوب الأصلية في أمريكا اللاتنية خلال شهري أغسطس وسبتمر من كل عام بيوم «لا باتشا ماما» الذي يعني يوم الأم الأرض، ومن بين كل بلدان أمريكا اللاتينية فإن لدولة بوليفيا علاقة إستثنائية بالأرض، فلولا القرابين التي يقدّمها الشعب البوليفي كل دقيقة من اليوم على مدار السنوات والقرون لابتلعت الأرض سكانها غضباً. هذا ليس رأيي أنا فقط، بل رأي كل زائر لدولة بوليفيا، فمنذ اللحظة الأولى التي تطأ فيها أقدامه هذا البلد سيدرك مدى قدسية الأم الأرض وحرص الشعب البوليفي على إرضائها.

فائزة مصطفى

لكن لماذا بوليفيا وحدها دون عن باقي الكوكب؟

بوليفيا هي الدولة اللاتينية ذات النسبة الأكبر من السكان الأصلين، حيث يشكّل شعوب الأنديز 95 ٪ من مجمل سكانها، وفيها أكثر من 37 لغة رسمية بالإضافة للغة الإسبانية، وتتكون من شعوب مختلفة الأعراق تلتقي جميعها في أصولها الأنديزية، وتفخر بهذا الأصل القديم، وتظهر هذا الفخر في كل العادات اليومية التي يعود أصلها للمعتقدات القديمة. ومن هذه المعتقدات قوية الحضور في بوليفيا هو الخوف من غضب الأم الأرض وضرورة تقديم القرابين للاباتشاماما قبل كل خطوة وفكرة ومشروع جديد، وتتفاوت هذه القرابين ما بين المتطرف والرمزي، فعلى سبيل المثال وتوثيقاً للحقيقة إذا أراد أحدهم بناء بيت في بوليفيا فإن الخرائط الهندسية تتضمن فجوة لازمة لا تتضمنها أي خريطة هندسية في أية بقعة أخرى من العالم، حفرة مربعة يدفن فيها قربان للام الأرض حتى يكتمل البناء على خير، وينهي العمال المبنى بسلام دون حوادث ولحفظ البيت من الإنهيار.

يختلف قربان البيت العائلي عن العمائر والمنشآت ذات الطوابق والأقسام المتعددة، فبينما يتكون قربان البيت العادي من أوراق الكوكا المخدرة و مكعبات السكر وأجنة الماعز الميتة المجففة وبعض القطع والأوراق المالية، نجد أن قربان العمائر والمنشآت الكبيرة يتكون من أجساد السكارى الأحياء التي تدفن في تلك الفجوة المربعة قربانا للاباتشاماما بدلاً عن جنين الماعز الميت المجفف وغيرها، ورغم قسوة هذه الممارسة إلا أنها حيّة في بوليفيا ولم تفلح السلطات في قمعها حتى هذه اللحظة، وتتحدث الكثيرمن التقارير والتحقيقات بشكل يومي عن إختفاء السكارى والمدمنين فاقدي الوعي من على قارعة الطرقات بصور غامضة بل في أحيان كثيرة يتناولها الشباب كمواضيع للمزاح على وسائل التواصل.

وقرابين الأم الأرض منتشرة في كل مناحي الحياة في بوليفيا؛ عمال المناجم يحملون علب البيرة والسيجار وأوراق الكوكا معهم كل صباح ليضعوها قرباناً للأم الأرض على مداخل المناجم، ربّات البيوت يقدّمن القرابين، ومثلهم يفعل طلاب المدارس، الموظفون الحكوميون، التجار، المزارعون.

بوليفيا بلد متفرد على كافة الأصعدة فهو يقع في أعلى مستوى للأرض عن مستوى البحر، عاصمته الادارية «لا باز» هي أعلى عواصم العالم، تربط بين أنحاءها أطول شبكة «تليفريك» للنقل العام وأكثرها تفرعاً وإنتشاراً، تحتوي العاصمة على مظاهر أيقونية يلاحظها مستخدم «التليفريك» لا توجد في غيرها من العالم، أكثرها شهرة هي مباني «الشوليتس»، التي تتكون من عدة طوابق تحتوي على محلات تجارية في الطابق الأسفل وكازينوهات ليلية في الطوابق الوسطى وشاليه سكني خاص بصاحب المبنى في أعلى طابق. وتتميز هذه المباني بالبناء الفني المستوحى من أشكال الآلهة القديمة لشعوب الإنديز ورسومات المعابد والألوان التي تقدّس وترمز للأم الأرض .. أول من إبتكرها مهندس من شعوب الإنكا يسمى فريدي مامامي لتكون مظهراً لفخر الشعوب البوليفية بأصولها الإنديزية في العاصمة ويراها كل زائر للبلاد.

غالبية أصحاب مباني الشوليتس هذه جاءوا من المقاطعات البعيدة والقرى النائية مهاجرين بسطاء، لكنهم سرعان ما غزوا المدينة بأعمالهم الناجحة والثراء الناجم عنها، فبنوا الشوليتس فخرا بالعمل الدؤوب الذي حقق لهم هذا النجاح، واعترافاً بأوصولهم وإنتمائهم للاقاليم والبقاع النائية وتخليد تعبر عن امتنانهم للاباتشاماما لمباركتها أعمالهم، وتحمل تسمية «شوليتس» في مقاطعها كلمة شولو والتي تطلق في بوليفيا على القادم للعاصمة والمدن الكبيرة من أهل القرى والجبال والمقاطعات البعيدة.

بالإضافة إلى الشوليتس توجد الشوليتاس، والمقصود بها النساء اللواتي يرتدين الزي التقليدي لقبائل الإنكا ولهن حكاية لا تقل دهشة وإلهاماً وروحانية عن كل ما تتفرد به وتتميز بوليفيا، فالشوليتاس نساء إقتحمن كل مجالات العمل حتى تلك التي كانت حكراً على الرجال ومارسن كل أنواع الرياضات لكنهن تميزن برياضة المصارعة النسائية التي يذهب ريعها الى باتشاماما وقضايا البيئة، وتحظى الشوليتاس بإحترام وتقدير كبيرين في بوليفيا وشهرة واسعة في أنحاء القارة اللاتينية والعالم فهن يتقدمن الوفد الحكومي البوليفي في قمم الأرض ومؤتمرات البيئة والتغيّر المناخي، يحملن قضايا سكان غابات الأمازون وجبال الأنديز في المحافل الدولية ويحافظن على نقل المعتقدات الروحانية والموروثات البيئية للأجيال والنشء الجديد، فأصبحن الصوت المسموع لاباتشاماما الأم الأرض.

وللشباب في بوليفيا حضور لا يقل إدهاشاً عن كل ماتتفرد به هذه البلد، في مبادرة فريدة من نوعها إجتمع كل صنّاع المحتوى من الشباب على منصات التواصل الإجتماعي في منصة واحدة أطلق عليها إسم «الأمة العظيمة» للإعلان عن «كرنفال أورورو»، والذي يقام كل عام في مدينة أورورو خلال شهري فبراير ومارس، وتشارك فيه فرق شبابية من كل مقاطعات بوليفيا بالإستعراضات بالألبسة والرقص والأطعمة التقليدية لكل شعوبها وقبائلها. وتهدف المنصة لدعوة صنّاع المحتوى من كل العالم لحضور الكرنفال وتصوير فعالياته ونشرها على موقع «يوتيوب» لتوثيق هذا الكرنفال القديم الذي يفخر بالأسطورة البوليفية الشهيرة التي واجهت فيها فتاة حسناء من سكان الجبال غضب الإله أورلي على سكان أورورو بسبب تقديسهم للأم الأرض وإنتصرت عليه لتصبح رمزاً لإنتصار الخير على الشر.

نجح شباب منصة الأمة العظيمة في تحقيق هدفهم في الترويج لكرنفال أورورو الذي أعلنته اليونيسكو في العام 2001 من ضمن التراث الإنساني غير المادي، وأظهرت إستطلاعات الرأي في السنوات الأخيرة أنه تفوق على كرنفال الريو دي جانيرو البرازيلي في جودة وروعة التنظيم وإثارة أعجاب وجذب السائح الأجنبي.

والآن بعد كل ما ذكرته هنا، ألا تتفق معي عزيزي القارئ أن القرابين اليومية التي يقدّمها شعب بوليفيا إرضاءً للأرض كي لا تنشقّ وتبتلع سكانها غضباً، يشكل ردّا فطرياً مبكراً على ما ينفذه الرأسمال العالمي البشع من صناعات حربية وكيميائية وقطع للغابات، وتحذيراً مستمراً من الكوارث التي تهدد الحياة على كوكبنا؟

«في مديح الأشياء وذمّها».. إعادة الاعتبار للتفاصيل الصغيرة

كتاب «في مديح الأشياء وذمّها» للكاتب البحريني حسن مدن هو عمل أدبي وفكري يجمع بين السرد الشائق والتحليل العميق؛ إذ يتناول الكاتب علاقة الإنسان بالأشياء والأفكار التي تقع على طرفي نقيض من حيث الصفات أو الخصائص، مثل: الخير والشر، والنور والظلام، والضحك والبكاء، والقوة والضعف. ويُعتبر الكتاب محاولة لفهم الحياة بمتناقضاتها من خلال الأشياء – المادية والمعنوية – التي تُحيط بنا، وتأثيرها في تفكيرنا وسلوكنا.

جلال إبراهيم

«في مديح الأشياء وذمّها» كتاب في فلسفة اليومي، يعيد الاعتبار إلى العادي والمألوف، وينقله من دائرة التكرار والنسيان إلى فضاء التأمل والدهشة

يتناول الكاتب علاقة الإنسان بالأشياء والأفكار التي تقع على طرفي نقيض، في محاولة لفهم الحياة بمتناقضاتها من خلال الأشياء التي تُحيط بنا، وتأثيرها في تفكيرنا وسلوكنا

ويلحظ القارئ منذ البداية أن الكاتب يقترب من تفاصيل الحياة اليومية البسيطة والعابرة ليضعها تحت مجهر التأمل، فيستخرج منها ما يتجاوز سطحيتها، ويحوّلها إلى معانٍ فلسفية ووجدانية عميقة.

يقوم الكتاب على ثنائية المديح والذم، الشيء ونقيضه، لا بالمعنى التقليدي للثناء والهجاء، وإنما بالمعنى التأملي الذي يقول عنه مدن: «إن ما نُخالُه متضادّات ليس بالضرورة كذلك في كل الأحوال، وأن للحقيقة وجوهاً مختلفة لا تتيسر معرفتها دون التبصّر في هذه الثنائيات، وفي كيفية تجلّي المنطق الجدلي في العلاقة بينها». من هنا يصبح الكتاب رحلة في فلسفة الأشياء، حيث يُعيد الكاتب اكتشاف المحيط العادي: الكتب، والمقاهي، والموسيقى، والأمكنة، وحتى التفاصيل الصغيرة كالنافذة أو مقعد الانتظار.

اعتمد حسن مدن في هذا العمل أسلوباً يقوم على المقالة القصيرة التي تجمع بين جمال اللغة وعمق الفكرة. فهو لا يكتب بطريقة أكاديمية جافة، بل يقترب من القارئ عبر لغة أدبية سلسة، تتخللها لمسات وجدانية وتأملات فلسفية، تجعل النصوص أقرب إلى البوح منها إلى التنظير.

ومن خلال هذه الثنائية، يحاول الكاتب أن يذكّر القارئ بأن الأشياء ليست محايدة تماماً؛ فهي تحمل في داخلها قدرة على الإلهام أو الإزعاج، والإغواء أو النفور. فالمكان الذي يمنح الدفء قد يتحوّل في ظروف أخرى إلى فضاء خانق، والموسيقى التي تُبهج الروح قد تستدعي الحزن أحياناً. هكذا يصبح العالم شبكة متناقضة من الدلالات. «ففي حديثه عن الإحساس بالزمان، فهو تارةً يمر سريعاً فلا نكاد نحسّ به، ونتمنى لو كان بمستطاعنا إيقافه في لحظة معيّنة، وتارةً أخرى يكون ثقيلاً بطيئاً خانقاً، فنتمنى لو أنّ باستطاعتنا دفعه بقوة كما ندفع صخرةً من أعلى جبل نحو أسفل الوادي».

وتكمن قيمة الكتاب في أنه يُعيد الاعتبار إلى التفاصيل الصغيرة التي كثيراً ما نهملها، ويُثبت أن في هذه التفاصيل جوهراً إنسانياً عميقاً. كما يذكّر القارئ بأن الحياة ليست مكوّنة من الأحداث الكبرى فقط، بل أيضاً من الأشياء البسيطة التي تُشكّل في مجموعها نسيج الذاكرة الفردية والجماعية.

يأتي هذا الكتاب استمراراً لخطّ واضح في تجربة حسن مدن، حيث تتداخل الثقافة والفكر والأدب في نصوصه، بما يعكس اهتمامه

بالإنسان ومحيطه. وإذا كانت بعض أعماله الأخرى أكثر مباشرة في الطرح الفكري والسياسي، فإن هذا العمل يقترب من الحميمي واليومي، فيمنح مساحات أوسع للتأمل الجمالي والفلسفي.

يمكن القول إن «في مديح الأشياء وذمّها» هو كتاب في فلسفة اليومي، يعيد الاعتبار إلى العادي والمألوف، وينقله من دائرة التكرار والنسيان إلى فضاء التأمل والدهشة. وبهذا المعنى، يفتح حسن مدن نافذة على جماليات الحياة في بساطتها، لكنه لا يغفل عن وجوهها المظلمة، فيجمع بين المديح والذم، والألفة والنقد، في لغة أنيقة وشفافة.

لا تقـربــوا قلــب يـوسـف

شعر: فاطمة محسن

لا تقربوا قلب يوسف
ليوسفَ قلبٌ من المسكِ
خالطه الحبُ
أثمرَ روحًا من السنديان
فلا تقرَبوا قلبَ يوسفَ
لا تقربنَّ
إليه
بدونِ رغيفٍ من الصدقِ
أو كوكبٍ من سلام

له من بياضٍ على كفةِ القلبِ
يوشك أن يَرسمَ الصبحَ فينا
ليوسفَ قلبٌ من الماءْ
يطهرنا كلَّ يوم من الشوكْ
يصلي علينا إذًا ما نسينا الصلاةْ
له شرفتان تضِجانِ بالبوحِ
كم أشتهي لو ينامُ الربيعُ هناك
وتنسى الفصولُ الكلامْ
يجيء إذا ما زرعَنا المطر
يخبّئُ في راحتينا المساء
فترقُصُ أرجوحةُ الغيمِ فينا
ويحصُدُ كلَّ الموسيقى نَجوماً
ليزرعَها في سماءِ النهار
يُطِلُ علينا...
فيخجلُ من صبرِنا الصبرُ فيه
نرتلُ ترنيمةَ الليلِ

يوسفُ... لا تدعي الجهلَ
إني رأيتُكَ في العلمِ
هذي الحروفُ تُصَيرك العرشَ
كن كيفما رسمتَك القصيدةْ
قميصاً أداريه
قد فتنتكَ الأصابعُ والجرحُ ما عاد ينزِفُ

يوسفُ
لا ينبغي أن أطيلَ على بابِ قلبي
القميصُ سيفضحني
أردُ يا... كلَّ يومٍ تجيئين بالعطرِ
هل نامَ بالقربِ منكِ بياضٌ
فلا تقَربي...
لو تعرفينَ بأن البنفسجَ يسكنُ فيه
وأن البساتينَ قد غيرتْ لونَها
كلُّ المسافاتِ قد تنهضُ الآن
تعاتبُك ... قلبُه اليومَ تفاحةٌ
فلا تقْضِميه

وأنتن يا....
لا تقَربن
أحقاً رأيتُن قلبي يقطعُ أوصالهْ
يمدُ فساتينَه... لتختالَ بالنبضِ أو تستحي
من ضياهْ
أحقاً ستأخذني

موجةُ العِشقِ
قافلةً من غناء

سهرتُ مع الجِفنِ أسألُه
كيدُكُن أم الحبُ؟
أقرأُ في كفكُن صلاتي
أرددُ يوسفَ في كلِ فرضٍ
وأهُدي
قواريرَه العطرَ
كما ينبغي للفصولِ
سأروي حكايتَك الوقت
وتنظرني
عينُك اليومَ عاشقةٌ
يرقصُ الموجُ فيها نخيلاً

يوسفُ
تبْ
إني أخافُ مرورَ الفصولِ
الشتاءُ وشيكٌ
وصيفٌ يفتشُ في
البئرِ عن إخوةٍ أو نساءْ
فتبنَ
وتبنَ
ولا تسْقُطَن بيوسفَ ... البئرُ ترتجفُ
هل تعيدُ الحكايةَ؟
أم تستريحْ

التقدمي

التقدمي العدد 214 ـ سبتمبر 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي. سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

وطن في الظلال

سوسن دهنيم

كلما حاولت أن أكون عابرًا
أغرقتني التفاصيل
فتشتُ عن وطن في القاموس
فوجدتُه بين قوسين:
كلمة قديمك، تُستخدم في الشعر.

كنت أظن أن الله يمرّ على قلبي كل مساء
ليتأكد أنني ما زلت أصلّي بصمت
لكنه، على ما يبدو
صار يرسل ملائكته لأبوابٍ أخرى.

حاولتُ أن أحبّ
لكن الحب جاء على هيئة لغز
كلما فككته، فقدتُ شيئًا من نفسي.

أجمل ما فيّ أنني ما زلت أُصدّق الأشياء
رغم أن كل شيء كذّبني.

أقف أمام مرآتي
كأنني أبحث عن وجهٍ أعرفه
ولا أجد سوى شرخ في الزجاج.

تقول أمي:
"إذا خفْتَ من الليل، نمْ على جهة القلب"
لكن قلبي الآن جهة مهجورة.

صار حزني بلا صوت
كأن الألم خجلَ مني
فتركَ لي الصمتَ على هيئة جملة لا تنتهي.

حين كتبتُ أول قصيدة
كنتُ أظن أن اللغة تُنقذ
لكنني الآن أكتب
لأتأكد أنني لم أختفِ.

لم أكن شاعرة
كنت مجرّد طفل
يريد أن يشرح للكون
لماذا لا ينتظره أحدٌ في المساء.

الفراغ لا يُؤذي
ما يؤذيك هو ذلك الأمل القديم
الذي يقول لك كل مرة:
"ربما ليس هذا كل شيء"
لكنه كان كل شيء
وكان ناقصًا جدًا.

ها أنا ذا،
لا أنتمي إلى أي مكان سوى اللحظة التي
تُنهكها أنفاسي
حيث تتشابكُ الأيامُ كأغصانٍ بلا أوراق
وأصواتُ الذاكرة تهمسُ:

الفقد ليس موتاً
بل بذرةُ وطنٍ لم يُزرع بعد.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com